فهم القرآن ومعانيه

الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله

شرح وتلخيص

المقدمة

أ في تنزيه الله

تتضمن الرد على الجهمية والمعتزلة والمشبهة والحشوية فهو يقول الحمد لله الذي ما سبقه شيء فيكون محدثا مخلوقا ولا بقي إلى أجل فيكون فانيا موروثا فات المقدار وعلا عن توهم الأذهان تاهت الألباب عن تكييفه وتحيرت العقول عن إدراكه فلا تشبيه ولا تجسيم وإنما هو تنزيه مطلق يتفق وجلال الألوهية

ويصل إلى خلق الإنسان فيذكر أنه سبحانه خلقه لغير وحشة في انفراد أزليته ولا استعانة به على ما يريده من تدبيره فلا قيمة لما يرويه الحشوية وينسبونه إلى الرسول كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني

ويفضي به القول إلى آراء الجهمية في تنزيه الله والمعتزلة في الذات والصفات فيرد عليهم في سياق المقدمة فهو سبحانه علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك لتفرده بعلم الغيوب فلا حاجة للقول بصفات حادثة ولا حاجة لنفي الصفات بحجة التنزيه ما دام العلم واحدا في كل حال والمتغير تعلقه أي المعلوم إذ أن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه

ب في العقل

ولقد استخص الله آدم وذريته فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبير وأحكام التقدير ولن يستطيع الإنسان أن يقدر نعمة الله في هبته العقل له حق قدرها إلا إذا عرف أن العقول معادن الحكمة ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ومعقل العلم ونور الأبصار إليها يأوي كل محصول

ولأنه تفرد بعلم الغيب سبحانه فإنه لا يعرف صفاته ومراضيه ومساخطه إلا هو لذا فقد أرسل الرسل فكلمهم تكليما لا بأداة أو آلة بل بذاته فخاطبوا العقل البشري بأمر الله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ففضل العقل في أنه الأداة التي تتلقى عن الرسل شرع الله وهذه هي وظيفة العقل أن يعقل الشرع لا أن يشرع ويبتدع من عنده فلم يكن ممكنا أن نعبد الله حق العبادة بغير رسالة وباسم العقل لأن العقل متلق وليس صانعا

القسم الأول

لما كان القرآن بهذه المثابة من الأهمية إذ أنه المهيمن على العقل فلا بد من تعريف به وبحامله وهو ما فعله المحاسبي في هذا الفصل وقد قسمه إلى عدة فقرات

أ فضائل القرآن

فقد أمرهم بالمكارم ونهاهم عن الآثام والمحارم ووعدهم فيه جزيل الثواب وضرب لهم فيه الأمثال وفصل لهم فيه المعاني الدالة على سبيل النجاة وأبان فيه المشكلات وأوضح لهم فيه الشواهد فهو بركة لقوله

تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة وينالون باتباعه الزلفى والكرامة وهو أحسن الحديث تصديقا لقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فأخبرهم أنه لا حديث يشبهه في حسنه وأخبر أنه متشابه غير مختلف فيه وسماه بأحسن الأسماء فقال كتاب عزيز

وقال أن ما قبله من الكتب مصدق له وشاهد وأخبر أنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو نور الليل المظلم وضياء النهار ويجب العمل به على ما كان من جهد وفاقة

ب فضائل القراء

أما الذين يتلون القرآن ويتدبرونه فهم أولياء الله الذين نعتهم بقوله تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل وقد ضمن الله لهؤلاء أن من اتبع منهم ما في كتابه من الهدى الإجارة من الضلالة في الدنيا والسعادة في الآخرة والنجاة من الشقاء قال الله عز وجل فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى

ثم روى أحاديث كثيرة في فضل حاملي القرآن وقراءته فلو ذاب أهل السموات والأرض حين يسمعون كلام الله عز وجل أو ماتوا خمودا أجمعون لكان ذلك حق لهم ولما كان ذلك كثيرا إذ تكلم الله عز وجل به تكليما من نفسه من فوق عرشه من فوق سبع سمواته وإذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها والله أعلم العلماء وأرحم الرحماء فكلامه أولى كلام بالاستماع والتدبر والفهم فإذا اجتمع هم القراء وحضر زكت أذهانهم وإذا زكت قويت على طلب الفهم واستبانت اليقين وصفت للذكر

القسم الثاني

في فقه القرآن

ينبغي لتالي القرآن أن يعرف ناسخه ومنسوخه محكمه ومتشابهه وعامه وخاصه ومقدمه ومؤخره وموصوله ومفصوله وغريبه وما لا يعرف معناه إلا باللغة أو بالسنة أو بالإجماع قال ابن عباس أنزل القرآن على أربعة أوجه حلال وحرام ولا يسع جهله وتفسير يعلمه العلماء وعربية تعرفها العرب وتأويل لا يعلمه إلا الله

القسم الثالث

ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز فيه ذلك

بعد أن ذكر أن في القرآن ناسخا ومنسوخا ورأى أن على قارئ القرآن المتدبر له معرفة ذلك قال إن في القرآن معنيين لا يجوز فيهما النسخ ومن دان بأنه يجوز فيهما النسخ فقد كفر

- 1صفات الله وأسماؤه

فلا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله جل شأنه ولا صفاته ولا أسماؤه يجوز أن ينسخ جل وعز وصف نفسه بصفاته الكاملة فمن أجاز النسخ فيها أجاز أن يبدل أسماءه الحسنى فيبدلها قبيحة وصفاته العليا فتكون دنية ناقصة سفلى ومدحه الظاهر فتكون مذمومة دنية جل وتعالى عن ذلك علوا كبيرا

- 2وأخباره تعالى عما كان ويكون

لأنه بذلك يكون منصرفا من الصدق إلى الكذب ومن الحق إلى الهزل

واللعب وإنما ينسخ أخباره الكذاب أو المخبر بالظن والمحاسبي ينطلق من المقدمة السابقة ليهاجم طوائف من الشيعة والمعتزلة والحشوية

وقد سبق أن أوضحنا أن القرن الأول من عصور الدولة العباسية ساده صراع عنيف بين المعتزلة والشيعة من جانب والمحدثين من جانب آخر وتطرف كل من الفريقين في موقفه

فكان كتاب المحاسبي هذا لإعادة الأمر إلى نصابه بعيدا عن الغالين والمقصرين المفرطين والمفرطين وقد رأى المحاسبي أن القول بالنسخ في الأخبار والأخذ بالمتشابه في صفات الله يؤدي إلى نتائج ليست من الإسلام في شيء

البدوات وحدوث الارادات

إن النسخ في الأخبار يوجب بالخبر الثاني الكذب في الخبر الأول كما يلزم منه البداء والبداء من الجهل وذو البدوات جاهل بما يكون فيما يستقبل والله سبحانه وتعالى يقول لا تبديل لكلماته وقد أول بعض من يدعي السنة وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث فأما من ادعى السنة فأراد إثبات القدر فقال إرادة الله عز وجل أحدث من تقديره فتقديره سابق لإرادته وأما أهل البدع فزعموا أن إرادة الله عز وجل بها كون المخلوق فزعمت أن الخلق غير المخلوق وأن الخلق هو الإرادة

ويرد عليهم المحاسبي ردا هو رد الأشاعرة والغزالي فيما بعد أن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه ماضيا وحاضرا ومستقبلا والإرادة تخصيص لزمان وقوع الفعل وأما قوله إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقوله إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها فإنه لم يزل يريد قبل أن يحدث الشيء أن يحدثه في وقت إحداثه فلم يزل يريد إحداثه في الوقت المؤخر فإذا جاء الوقت فهو أيضا يريد أن يحدثه فيه فبإرادته أحدثه في ذلك الوقت الذي فيه أحدثه فإرادته عز وجل دائمة لأنه مريد قبل

الوقت وفي الوقت الذي أحدثه فيه فأراد بقوله عز وجل إذا أردناه إذا جاء الوقت الذي هو فيه وهو له قبل في الوقت مريد فأوقع إذا على الإرادة وإنما أراد الوقت وهو مريد له أيضا في الوقت وإذا أردنا أن نهلك قرية يعني الوقت الذي أردناه من قبل إذا جاء الوقت أهلكناه فيه لا على البدء منه بإرادة أخرى

السمع والبصر

وكذا السمع والبصر معناهما انكشاف المسموع والمبصر على ما هما عليه لا بآلة والمراد من مثل قوله تعالى إنا معكم مستمعون أن المسموع والمبصر لم يخف على أن أدركه سمعا وبصرا لا بالحوادث في الله عز وجل ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع وإبصار مع حدوث المبصر فقد ادعى على الله عز وجل ما لم يقل

العلو

والحارث سلفي في مسألة العلو والعرشية فهو يقول أنه تعالى على عرشه بائن عن خلقه ويرد على أولئك الذي يقولون أنه تعالى في كل مكان بذاته وهم الجهمية وأهل الحلول من المتصوفة وقد عاصر الحارث المنزهة المخطئين كما عاصر جماعة من الحلولية منهم أبو حمزة الصوفي الذي كان له وقائع معه أما ما ورد في القرآن من مثل قوله تعالى معهم أينما كانوا وهو الذي في السماء إله وغيرها فذلك موجود في اللغة إذ يقول

القائل من بخراسان فيقال ابن طاهر وإنما هو في موضع فجائز أن يقال أمير في خراسان فيكون أميرا في بلخ وسمرقند وكل مدنها هذا وإنما هو في موضع واحد يخفى عليه ما وراء بيته ولو كان على ظاهر اللفظ ما جاز أن يقال أمير في البلد الذي هو فيه ولا في بيته كله وإنما هو في موضع منه لو كان معنى هذا الكون فكيف العالي فوق كل شيء ولا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله أهل السماء وإله الأرض

الحشوية والنسخ في الأخبار

وافق الحشوية بعض الروافض في القول بنسخ الأخبار دون أن يقصدوا إلى ذلك فقال الكلبي أنه لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم نسخها بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ومعنى ذلك أن لو لم يكن نسخها أن الله عز وجل قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنه أراد به أن يعذب عزيرا والملائكة والمسيح فأوجب عليهم العذاب ثم نسخ ذلك بعد ما أوجبه كما أوجب قيام الليل ثم نسخه ومعاذ الله أن يكون الله عز وجل أراد وأحب تعذيب أوليائه من الملائكة ولا المسيح ولا عزير وقد تقدمت فيهم أخبار من الله عز وجل بالولاية قبل أن ينزل آية العذاب فلما نزلت أية العذاب لم يرد بها من تقدم منه القول بولايتهم وإنما أراد من عبدوا سوى أوليائه وكان خبرا خاصا لا عاما ثم ذكر أمثلة أخرى من الأخبار التي ظاهرها العموم وهي خاصة في طائفة معينة أو واقعة معينة

أين يجوز النسخ

فالناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكونا إلا في الأحكام في الأمر والنهي والحدود والعقوبات في أحكام الدنيا

ولا يعني ذلك البداء أو التناقض ولكنه أمر بأمر وحكم بحكم وهو يريد أن يوجبه إلى وقت ويريد أن يأمر بتركه بعد ذلك الوقت فلم يزل مريدا للفعل الأول إلى الوقت الذي أراد نسخه وإيجاد بدله ولا ينسخ أمره ولكن ينسخ المأمور به بمأمور آخر وذلك موجود بين العباد على تقدم الإرادة منهم فيما أمروا به أولا ثم نهوا عنه وأمروا بغيره من غير بدو ولا جهل وذلك كأن يأمر الرجل غلامه ليعمل في أرضه وهو يريد أن يعمل فيها وقت الزراعة ثم يصرفه بعد ذلك إلى خدمته في منزله وكلاهما قد تقدمت به الإرادة منه

ثم ذكر أن المعتزلة رغم ضلالهم وافقوا أهل السنة في امتناع نسخ الأخبار وجواز نسخ الأحكام لكنهم أفضوا من هذه المقدمة السليمة إلى نتيجة فاسدة هي

القول بخلق القرآن

ولهم على ذلك حجتان

أن كلام الله مخلوق لأنه ينسخ كلامه بكلامه فيما أمر به ونهى عنه ولو لم يكن مخلوقا ما جاز عليه النسخ ولا التبديل

وقد رد عليهم الحارث بأن هذا التفسير منهم للنسخ تمحل وجهل بالمعنى الحقيقي إذ أن الله لم ينسخ كلامه وإنما نسخ مأمورا به بمأمور به فأبدل أحدهما مكان الآخر وكلاهما كلامه وإنما ينسخ كلامه الأول بكلام منه ثان الكاذب الراجع عما قال فأما إذا كانا جميعا منه حق وصدق فلا نسخ إلا في المأمور والله سبحانه يقول لا مبدل لكلماته ويقول يريدون أن يبدلوا كلام الله فدل الله عز وجل بذلك أن في تبدل كلام الله إيجاب الكذب والله عز وجل لا يبدل كلامه ولا ينسخ قوله وإنما ينسخ فرضه بفرض آخر

ب ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فقالوا ما جاز فيه أن يكون بعضه خيرا من بعض فهو مخلوق لأنه إذا كان شيء هو خير من شيء فقد فضله والآخر منقوص وقال أو مثلها وما كان له فهو مخلوق لأن المثل يشتبه بمثله وما جاز أن يأتي به الله عز وجل فيحدثه فهو مخلوق وكل مخلوق فمثله مخلوق لأن حكم المثل حكم مثله وجهلوا التأويل إنما قوله جل وعز نأت بخير منها بخير مأمور به خير منها لا يعني خيرا من التوحيد وإنما يعني له فيها خير كما يقال الدراهم خير من المال لا يريد أفضل من المال وإنما يعني له

فيها خير أي يريد الدراهم من المال خير ومن زعم أن كلامه عز وجل في واقرأوا ما تيسر منه خير من قوله يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا كان كافرا بالله عز وجل إذ ازدرى كلام الله وزعم أنه منقوص دني

القسم الرابع مع المعتزلة دفاع والتزامات

دعوى المعتزلة

وقد ادعى علينا بعض أهل البدع من المعتزلة أنا نزعم أن الله عز وجل ينسخ أخباره وصفاته فقالوا أن الله عز وجل أخبر أنه يعذب القاتل والزاني وشارب الخمر وآكل مال اليتيم ظلما ولم يستثن منهم أحدا فزعمتم أنه جائز أن يغفر الله لبعض أهل الكبائر وأنه لا يغفر لبعضهم

ويصل الأمر إلى الصفات فيقول المعتزلة زعمتم أن الله جل وعز امتدح بأن الأبصار لا تدركه ثم زعمتم أن هذه المدحة تبدل في الآخرة فتراه العيون وهذا نسخ المدح لأنه امتدح بأن الأبصار لا تدركه ولم يستثن فزعمتم أنه تدركه في الآخرة نظرا

ولو جاز أن يغفر الله لأهل الكبائر لجاز أن يغفر للكفار لأنه كذلك قال إني أعذبهم

ويرد الإمام المحاسبي عليهم بأنهم أبعدوا في القياس وإنما أتوا من قبل الجهل بخطاب الله وتأويله وغفلتهم عن علوم القرآن فأخبار الله ومدحه لا تنسخ لكن من الأخبار عاما وخاصا وان اتفق ظاهر تلاوتها في العموم فهو مختلف في معاني العموم والخصوص

في الوعد والوعيد

فأما ما ادعوا علينا في الوعيد فهذه دعوى باطل إذ أن الله جل عز أوجب لأهل الكبائر العذاب وهو يريد أن ذلك عليهم وأنهم له مستحقون ولم يرد أن يعذبهم أجمعين فإن أراد أن يعذب بعض من استوجب فيعذبه بعدله ويعفو عن بعض من وجب عليه بفضله وقد قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأيسنا من عفوه عن المشركين ورجونا عفوه عن بعض أصحاب الكبائر دونما تعيين

ورأى المحاسبي بعد هذا أن المعتزلة يمكن أن يلجأوا إلى ظواهر الآيات مع أنهم هم متطرفة المؤولة فتتبعهم في ذلك وسد عليهم الطريق بحجج من كلامهم نفسه وألزمهم عدة الزامات

الزام المعتزلة

يوجب المعتزلة على الله عقاب الكفار وأصحاب المعاصي كما يوجبون المغفرة لأصحاب الصغائر غير المصرين وهذا الإيجاب يرى فيه المحاسبي خروجا على الكتاب والسنة وإجماع الأمة ويرتب عليه عدة نتائج

أ امتناع الخوف والرجاء

إذ أن مرتكب الكبيرة مستيقن أنه في النار ومجتنبها مستيقن أنه

في الجنة إذا خاف أحدهما أو رجا يكون شاكا في وعد الله ووعيده فيكفر والموحدون لا يخلو أحد منهم من أن يكون مجتنبا للكبائر أو مصرا على بعض الكبائر أو دون ذلك أو كلاهما فحرام عليهم على قولكم الخوف والرجاء لأنه لا يخلو أحد منهم من أن يكون من إحدى المنزلتين وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع الأولين والآخرين

ب امتناع العفو

وكذلك العفو في الآخرة لا يجوز أن يكون من الله جل ذكره على مذهبكم لأنه لا يلقى الله إلا صاحب كبيرة قد أوجب في الدنيا ألا يعفو عنه وذلك عندكم إن اعتقده لأن الله جل ذكره قد آيسه من ذلك أو صاحب صغيرة غير مصر على كبيرة يعد مجتنبا للكبائر كلها فقد عفى الله عنه في الدنيا وقد مات يوم مات وهو مغفور له من أهل الجنة فلا يحتاج إلى العفو والصفح وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع القرون من الأولين والأخرين إمتناع شفاعة النبي

لأن صاحب الكبيرة معذب لا محالة فلا يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشفع له ولا تغني عنه شفاعته شيئا والمجتنب للكبائر مثاب لا محالة فلا حاجة به إلى الشفاعة وهذا رد للآراء المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والأمة كلها جاهلها وعالمها كلهم يرجون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

القسم الخامس

في ذكر الناسخ والمنسوخ من الأحكام

بعدما خاض المحاسبي معركة مع المشبهة والمعتزلة والروافض حول

- كتاب فهم القرآن ومعانيه

فهم القرآن

لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي

في تنزيه الله

عونك اللهم

الحمد لله الذي ما سبقه شيء فيكون محدثا مخلوقا ولا بقي إلى أجل فيكون فانيا موروثا

الأول القديم الدايم الكريم فات المقدار وعلا عن توهم الأذهان

تاهت الألباب عن تكييفه وتحيرت العقول عن إدراكه تفرد بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون

خلق الخلق لغير وحشة في انفراد أزليته ولا استعانة بهم على ما يريد من تدبيره لكن أراد أن ينشر رحمته ويمن بفضله ويستخلص من يشاء من بريته فابتدأ آثار القدرة وأحكم الصنع وأتقن التدبير وابتدأ بالطول وبعد بالمن فعم به عباده عدلا وأوسعهم فضلا فله الحمد والثناء شكرا

لم يخلق خلقه عبثا ولا تركهم سدى ولكن أراد أن يتعرف إلى عباده بآياته البينة ودلايله الواضحة ليؤدوا واجب حقه ويجتنبوا مساخطه لغير حاجة إلى طاعتهم ولكن ليستحق الثواب من أناب وأجاب ويستحق العقاب من جحد وارتاب

فاستخص آدم وذريته فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبير وأحكام التقدير فألزمهم بذلك حجة من عقولهم بما شاهدوا من إنشائه وإتقان صنعه في أنفسهم وفي جميع خلقه ثم أكد الحجة عليهم بإرسال الرسل إليهم فنبههم على النظر بما

شاهدوا من الآيات الظاهرة والدلايل البينة لم يظهر لهم سبحانه بنفسه فيبدي لهم عظمته ويخاطبهم دون رسله

ولم تكن الرسل لتعرف صفاته ولا ما يحب ويكره فيعلموا غيبه كما علم غيوبهم فيكونوا أربابا مثله جل وعلا عن ذلك وتعالى ولم يكونوا ليعرفوا صفاته ولا ما في نفسه مما يحب ويكره وما يريد أن يكرم به من أطاعه ولا ما يهين به من عصاه أبدا

ثم تكلم بذلك تكليما بذاته فأكد عليهم الحجة بكلامه واختار إرسال الأنبياء من عباده فأرسلهم بكلامه ووصف لهم صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى وما يرضى به من المقال والفعال وما يسخطه من الأعمال وما أعد لمن أطاعه من الثواب الجزيل والعيش السليم والنعيم المقيم وما أعد لأعدائه من أليم العذاب وشديد العقاب في اليوم الذي يعرض فيه عباده ويحاسب خلقه بأهواله وزلازله فأرسل بذلك الأمناء من رسله فقطع بهم العذر وأزاح بهم العلل وقال جل من قائل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال

أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ثم أخبر عباده أنه وجه إليهم النذر بكلامه وقوله فقال ومن أصدق من الله قيلا

وقال لا مبدل لكلماته

في العقل

وأنه خاطبهم به من قبل ألبابهم فقال إنما يتذكر أولوا الألباب

وقال لقوم يعقلون و لقوم يتفكرون لأنه جعل العقول معادن الحكمة ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ومعقل العلم ونور الأبصار إليها يأوي كل محصول وبها يستدل على ما أخبر به من علم الغيوب فبها يقدرون الأعمال قبل كونها ويعرفون عواقبها قبل وجودها وعنها تصدر الجوارح بالفعال بأمرها فتسارع إلى طاعتها أو تزجرها

فتمسك عن مكروهها
فاستخلص من عباده خالصة من خلقه فهمت عنه قوله بعقولها فاتسع لها ما خفي عن الأبصار
فآمنت به وبما غيبته حجب غيوبه من لدن عرشه إلى منتهى علمه ثم عارضها هاجس الشك فأبته وذلك بلطف البصير وما وصفه لها وبفضله عليها
فكان عندها ما أخبر به عما غاب مما كان ومما هو كائن كرأي العين فكانت بذلك مصدقة غير مكذبة ولا مرتابة
ثم استخص من الخالصة الأولى خاصة ثانية من المقرين والمعترفين له بربوبيته المصدقين بقوله فعظموا قدره فأجلوه وهابوه واستحيوا منه وخافوه وحذروا نقمته وبأسه فتطهروا من كل دنس وبذلوا له المجهود من قلوبهم وأبدانهم ووصفوه بصفاته الكاملة ونزهوه من كل ما لا يليق وأفردوه في كل معنى ولم يساووه بشيء من خلقه
فأفردوه بالمخافة والرهبة والآمال والرغبة والثقة به وحسن التوكل عليه فأعتقوا من خدمة الدنيا أبدانهم

وأفردوا مولاهم بالمعاملة بإخلاص النية له بطلب مرضاته واجتناب مساخطه وأيقنوا بما وعد وتوعد به فكان عندهم كرأي العين فخشعوا لذلك واستكانوا فدأبوا واجتهدوا فاشتغلوا به وانقطعوا عن العباد إليه بهمومهم ولم يكن فيهم فضل لغيره ولا تزين لسواه فسلكوا سبيل الرشاد بالبصائر النافذة على منهاج الكتاب والسنة وعلما بما أمر به ونهى عنه وندب إليه وحض عليه من مكارم الأخلاق وحسن الآداب فبانوا من عوام المسلمين بالفضل والطهارة فكانوا أئمة الهدى وأعلام المتقين ومصابيح العلم ومفزع كل ملهوف في الدين وطالب لسبيل النجاة
فأحل عليهم عظيم رضوانه وأعد لهم جزيل ثوابه وأجر أعمالهم وأعمال المقتدين بهم وكان لهم كأجور أعمال المتبعين لهم مع أجور أعمالهم ولم ولم يعطهم الله عز وجل اليقين به وبما قال عن رؤية منهم لربهم ولا معاينة منهم لما وعد وتوعد ولكن عن الفهم بما قال جل وعز في كتابه بالتذكير والتفكير والتثبيت والتدبير
فرددوا النظر وأجالوا الفكر وكرروا الذكر

وتدبروا العواقب وطلبوا معاني الدلائل فطالعوا الغيوب وشاهدوا بقلوبهم الآخرة فصاروا في الدنيا بأبدانهم وفي الآخرة بأرواحهم وأجسامهم فيها كعواد وعقولهم معلقة بالملكوت وذلك بغير ابتداء منهم اجتنبوه ولا نالوه ولكن بتفضل الله جل وعز عليهم وتعبده إياهم
فأقامنا الله وإياك مقامهم وأسلكنا وإياك سبيلهم حتى يلحقنا بمنازلهم ويرافق بيننا وبينهم في جواره فإنهم أعقل خلق الله جل وعز عنه لما فهموا من كلامه وتدبروا معاني قوله وبذلك أمنهم ورضي عنهم وأثنى عليهم ورفع به قدرهم لأنهم فهموا منه ما أخبرهم عنه بكلامه الذي أنزله في كتابه إذ يقول جل وعز يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
فلما عقلوا ذلك عن ربهم ابتغوا منه الشفاء والهدى والرحمة فداووا به قساوة قلوبهم وغسلوا به درن ذنوبهم ووضعوا دواءه على أدواء قلوبهم ونفوا به سوء النيات من ضمائرهم وأزالوا به وحر صدورهم ونظروا ببصائرهم إلى ما يشبه الشبهات

من سوء الدلايل ومكايد الشيطان وزخرف المبطلين وكشفوا بمنار دلايله ما وارته الظلمات وغطته الشهوات من خفيات الغيوب ومعالم الطريق المضروب على المحاج الواضحات والبرهان النير فنظروا بنور هداية كلام الرب جل ذكره وواضح دلايله إلى ما خفي عن الغافلين المؤثرين لأهوائهم على استيضاح كتاب ربهم جل مولانا وتعالى فهتكوا بنوره حجاب كل ظلمة وكشفوا بتبيانه غطاء كل ضلالة وبدعة لأنه الدليل الواضح والصراط المستقيم الذي جعله الله للناس إماما ورضي به بينهم حاكما فأماتوا عنده كل شهوة وانبعثوا بتأمله إلى كل رغبة وحنوا بتشويقه إلى جوار المولى الكريم وصبروا لأحكامه في كل عسر ويسر وتأدبوا بأدبه في كل أقوالهم وتزينوا بأخلاقه في كل أمورهم فصاروا للقيام به وللمتعبدين أعلاما يرجع الحائرون عن الحق إلى سبيلهم ويتأدبون بمكارم أخلاقهم ويتزينون بزينة هديهم ويستضيئون بنور هدايتهم 85 ويدينون بما ألزموا من برهان حجته فارغب إلى الله عز وجل في طلب آثارهم وسلوك طريقهم

القسم الأول

فضائل القرآن

فإن العاقل عن الله عز وجل بدلائل الكتاب مستبصر وبحبله من كل هلكة معتصم ولربه بتلاوته في الخلوات مناج لأنه بنجاة نفسه مهتم ففزع إلى فهم كلام الرب جل وعز ليحيي به قلبه وينجو به من عقابه في يوم يندم فيه الغافلون وينحسر فيه المبطلون فكفى بكتاب الله عز وجل عن غيب الآخرة مخبرا وببصائره للعوام موضحا لأن من فهم عن الله عز وجل ذاق طعم حلاوته وخالط فهمه لذة مناجاته إذ عرف من تحاوره فعقل عن الله عز وجل ما به خاطبه فاتخذه معاذا فسكن إلى الله جل وعز وأنس به من كل وحشة فلم يؤثر شيئا عليه فكان للمتقين الماضين قبله في الدنيا خلفا وللآخرين المريدين من بعده سلفا فتدبر القرآن أيام حياته فصار الله جل وعز به مستفيدا لأنه الدليل الهادي للعباد قبل نزول المحل وحادي المشتاقين إلى جوار الكريم

فبه نطق الحكماء وبه أنس المنفردون إلى إدمان الفكر في معانيه

لا يضل السالك باتباع دلايله لأنه النور الذي استضاء به الموقنون والغاية التي يتسابق إليها المتسابقون والمنهج الذي لا يصل السالك إلا باتباع دلايله ولا يعلم له طريق النجاة إلا مع الاستضاءة بنوره ولا يصاب الحق إلا في محكم آياته

شفيع في القيامة لمن تقرب إلى الله جل وعز برعايته وحفظ حدوده وصبر لله جل وعز على أحكامه وهو الماحل لمن لم يكن في قلبه منه إلا حفظ حروفه وفي جوارحه منه إلا تلاوته

هو القول الذي فصلت آياته والفرقان الذي يميز بين الحق والأباطيل بشواهد بيناته

حكمة بالغة منزلة من حكيم الحكماء وعليم العلماء أنزله الله تعالى دواء للقلوب شافيا ولمن حرم حرامه وأحل حلاله عن النار عادلا ولمن حذر مخاوفه في مقيل الجنان نازلا

فأهل العلم بكلام ربهم عز وجل هم أهل الصفاء من

الأدناس وأهل الخاصة من الله جل وعز الذين أشعروا فهمه قلوبهم وتدبروا آياته عند تلاوته بألبابهم فتزودوا لبعد سفرهم إلى معادهم وفهموا منه شدة إجهادهم يوم القيامة ففزعوا وذكروا به السؤال من الله عز وجل فاستعدوا للجواب عما عملوا فتابوا إلى الله جل وعز عن كل ذنب وتطهروا له من كل دنس وأخلصوا له النيات في أعمالهم ليجيبوه عما سلف من ذنوبهم بالتوبة وعن إرادتهم في طاعته بصدق النية فاستعدوا بالقرآن للعرض والسؤال منقادين له بذلتهم وخاشعين له باستكانتهم لأنهم وقروه لإجلال المتكلم به غير مغيبين عن تلاوته لطلب حقائق معانيه ولا مستهينين بحرماته فانتعشوا به من كل صرعة وجبر الله لهم به من كل مصيبة

فما زال ذلك دأب العاقلين عن ربهم عزل وجل لأنه ربيع قلوب الموقنين وراحة الراجين ومستراح المحزونين لا ينقص نوره لدوام تلاوته ولا يدرك غور فهمه ولا يبلغ له غاية نهاية تاليه أبدا لأنه كلام الله جل ثناؤه الذي تعلق

المتقون بعروته والملجأ الذي أوى الراهبون إلى كنف رحمته

قلت كيف لي بفهم ما قال الله جل وعز في كتابه لعلي أدرك منازلهم أو أقارب مقامهم

قال بأن يعظم عندك قدر ما تنال بفهمه من النجاة وما في الإعراض عن فهمه من الهلكة لأن الله جل وعز أنزل في كتابه كلامه مع الروح الأمين إلى محمد المصطفى برسالته والمنتخب لإنذار عباده صلى الله عليه وسلم فوصف تعالى نفسه بأحسن الصفات ودل خلقه ونبههم فيه لمعرفته بما وضع في سماواته وأرضه من آثار صنعته ونفاذ قدرته وذكرهم فيه أياديه عندهم وكثرة نعمه وتعهده إياهم من ابتداء خلقهم وحسن تقديرهم وإجراء أرزاقهم ودفاع البلايا عنهم والآفات المهلكة لهم وحسن ستره عليهم وإقالتهم والعفو عما 86 استوجبوا من تعجيل العقوبات ونزول النقم بهم

فأمرهم فيه بالمكارم ونهاهم عن الآثام والمحارم ووعدهم فيه جزيل الثواب وضرب لهم فيه الأمثال وفصل لهم فيه المعاني الدالة على سبيل النجاة وأبان فيه المشكلات وأوضح

لهم فيه الشواهد على علم الغيوب وجعل فيه حياة قلوبهم وعزهم وشرفهم والغنى به عن جميع العباد

ثم أخبرهم أنه أنزل كتابه ليدبروا آياته بعقولهم ويتذكروا ما قال بألبابهم وقال كتاب أنزلناه إليك مبارك فسماه بالبركة ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة وينالون باتباعه الزلفى والكرامة ثم قال ليدبروا آياته فأخبر أنه أنزله للتذكر والتفكر فيه وخص بالتفكير والتذكر أهل العقول أولي الألباب

قال حدثنا سنيد بن داود قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن

أنه تلا هذه الآية كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب فقال وما تدبر آياته إلا اتباعه بعقله أما والله ما هذا بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى أن أحدهم ليقول إني لأقرأ القرآن فما أسقط منه حرفا وقد والله أسقطه كله فما يرى له القرآن في خلق ولا عمل

ثم أخبرهم أن اتباع ما فيه سلوك للصراط المستقيم والنور المبين والعصمة لمن تمسك به من كل هلكة وشفاء لما في الصدور

قال الرب جل ثناؤه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم فضمن الله عز وجل لمتبعة الهدي لطريق السلامة والسلوك للطريق المستقيم ووصف المتبعين له كيف قلوبهم وما ورثهم من خشيته فقال جل وعز الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فأخبرهم أنه لا حديث يشبهه في حسنه وأخبر أنه متشابه غير مختلف فيه

ثم أخبر أن فيه التكرار عن معاني ما قال إن تنحت قلوبهم عند تلاوة ما في سوره عن فهم معانيه تكرر في سورة أخرى ففهموه فقال مثاني

حدثنا سنيد قال حدثنا سفين عن معمر عن قتادة في قول الله جل وعز الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها في حلاله وحرامه لا يختلف شيء منه تشبه الآية الآية والحرف الحرف

حدثنا إسماعيل عن أبي رجاء عن الحسن كتابا

متشابها مثاني قال ثنى الله فيه القضاء تكون السورة فيها الآية وفي السورة الأخرى آية مثلها

قال أبو رجاء وسئل عنها عكرمة فقال ثنى الله فيه القضاء

قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله متشابها قال يصدق بعضه بعضا قال القرآن كله مثاني أبو سعيد

فتثنية القرآن تعود للشيء قد قاله

قال حدثنا سفين عن معمر عن قتادة مثاني قال قد ثناه الله تعالى

قال حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن أبي مالك قال القرآن كله مثاني

قال حدثنا حجاج عن ابن جريج قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قال إذا سمعوا ذكر النار والوعيد اقشعروا ثم تلين جلودهم إذا سمعوا ذكر الجنة

قال حدثنا أبو سفيان عن معمر قال تلا قتادة تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الآية فقال هذا نعت أولياء الله

نعتهم بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل هذه صفة الذين آمنوا وكيف حزنهم ورجاؤهم

ووصف الذين أوتوا العلم علم كتابه من قبل أن ينزل القرآن فقال جل وعز إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا 87 وقال عز وجل خروا سجدا وبكيا
يخبر تبارك وتعالى أن وجل الذين أوتوا العلم من قبلنا ومخافتهم كانت عن فهم آياته في كتابه وتدبر قوله وقد ضمن جل وعز لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لمن اتبع منهم ما في كتابه من الهدى الإجارة من الضلالة في الدنيا والسعادة في الآخرة والنجاة من الشقاء
وقال جل وعز فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا عيسى بن المسيب

البجلي قاضي خالد قال حدثنا خالد بن عبد الله عن إبراهيم النخعي قال قال ابن عباس أجير صاحب القرآن من الضلالة في الدنيا والشقاء يوم الحساب ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
وعظمت العلماء بالله عز وجل ما أنزل في كتابه لتعظيمه له إذ سمعوه يقول تبارك وتعالى
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى
قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا شيبان عن

قتادة في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى الآية قال ذكر لنا أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن سرك أن نتابعك فسير لنا جبال تهامة ووسع لنا في حرمنا نتخذ قطايع وبساتين وأحي لنا فلانا وفلانا أناسا ماتوا في الجاهلية فإن تابعوك وآمنوا بك تابعناك وآمنا بك فأنزل الله عز وجل هذه الآية فلو فعل هذا

بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم هذا وكلم به الموتى وسماه برهانا ونورا ورحمة وموعظة وبيانا وحقا ومجيدا وبصائر وهدى وفرقانا وشفاء لما في الصدور

فعظمه عند المؤمنين ليعظموا قدره ويفهموه لينالوا به شفاء قلوبهم

وقال جل وعز لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وأخبر جل وعز بعظيم قدره وضرب الجبل مثلا لقلوب المستمعين له ليعقلوا فيتدبروا آياته

ويتفكروا في عجائبه فضرب هذا المثل فدل به أن من لم يفهم عنه ما أنزل في كتابه أن قلبه أقسى من الحجر الأصم وأن ما فيه تتصدع الجبال لو فهمته خشية للمتكلم به يعظم بذلك قدره وقدرنا فيه ويبين لنا أن القلوب تخشع لفهمه وتخاف الله وجل وعز لعقلها ما أخبر به وأخبرنا أن الجبال الرواسي لو أنزل عليها كلامه لتصدعت خاشعة لتعظيمه

وأخبرنا أنه أحسن من كل حديث ومن كل قصص وقال نحن نقص عليك أحسن القصص

ثم أخبرنا جل وعز أنه قد انتهى في الحكمة فقال حكمة بالغة فما تغني النذر

وأخبر أنه لا مبدل لكلماته وأخبر أنه لا يفنى ولا ينفد فقال جل وعز قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي

وسمى الله عز وجل نفسه فقال علي حكيم

وسمى كلامه فقال وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم

حدثنا سنيد قال حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة قال فإن اسخففتم به فإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم

وسماه بأحسن الأسماء وأعلاها إنما سمى به نفسه فقال كتاب عزيز

ثم أخبر أن ما قبله من الكتب مصدق له وشاهد له وأنه لا يأتي من عنده كتاب أبدا يبدل حكمه ولا ينسخ أمره ونهيه فقال عز وجل من قائل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأخبر أنه منعه من الخلائق أن ينتقصوا منه أو يزيدوا فيه أو

يحرفوه كما حرفت الكتب من قبله
حدثنا سنيد قال حدثنا سفين عن معمر عن قتادة في قوله إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الشيطان لا يستطيع أن يبدل منه حقا ولا يحق به باطلا
قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الباطل الشيطان
قال ابن جريج لا يأتيه الباطل من بين يديه قال ليس فيما قصصنا 88 على محمد صلى الله عليه وسلم فيما كان قبله باطل ولا من خلفه مما قصصنا عليه مما هو كائن بعده من الدنيا والآخرة
قال حدثنا حجاج عن حمزة الزيات عن أبي مختار الطائي عن ابن أخي الحارث عن الحارث قال دخلت المسجد

فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث فأتيت عليا رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس قد وقعوا في الأحاديث قال وقد فعلوها قلت نعم
قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها ستكون فتنة قلت وما المخرج يا رسول الله قال كتاب الله عز وجل فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس فيه الألسن ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن رد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم قال خذها إليك يا أعور
قال وإنما احتاج التالي له إلى الأحاديث عن قول العلماء

الحكماء بالحكمة والموعظة الحسنة حين ضيع منهم كتابه وطلب معانيه ولولا ذلك لكان كأحد العلماء الذين يقولون بالحكمة ويتعظون بالتقوى لأن فيه معاني التعظيم وما ينال به اليقين ويستدل به على كل خلق كريم

قال حدثنا خلف بن هشام البزار قال إسماعيل بن عياش عن حجاج عن مروان الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمي يرفعانه إلى أبي سعيد الخدري أن رجلا أتاه فقال يا أبا سعيد أوصني فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك فقال أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنها رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض وعليك بالصمت إلا في حق فإنك تغلب الشيطان

قال وحدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن معتب عن كعب قال عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عز وجل

قال وحدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا زياد قال حدثنا الحسن قال لما أحس جندب بقدوم طلحة والزبير وخاف القتال فخرج يريد الحجاز فتبعه قوم أو قال ناس فجعلوا يقولون أوصنا فقال إقرأوا القرآن فإنه نور

الليل المظلم وضياء النهار فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة

قال وحدثنا إسحاق بن عيسى قال حدثنا محمد بن طلحة عن معن بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كل مؤدب يجب أن يؤدي أدبه وإن أدب الله القرآن

وحدثنا خلف بن هشام قال حدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة في قوله ومن يؤت الحكمة قال القرآن

قال وسمعت الكلبي يقول هي النبوة قال فذكرت ذلك لدواد بن أبي هند فقال إن النبوة لحسن ولكنه القرآن

فضائل القراء

قال وحدثنا خلف بن هشام قال حدثنا عبد الوهاب عن بشر عن القثم مولى خالد بن يزيد بن معاوية قال أخبرني أبو أمامة الحمصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ثلث القرآن أعطي ثلث النبوة ومن قرأ ثلثيه أعطي ثلثي النبوة ومن قرأ القرآن كله أعطي النبوة كلها

قال وحدثنا خلف بن هشام قال حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ ثلث

القرآن وعمل به فقد أخذ ثلث النبوة ومن أخذ نصف القرآن وعمل به فقد أخذ نصف النبوة ومن أخذ القرآن وعمل به فقد أخذ النبوة كلها

قال وحدثنا عمر بن طلحة قال حدثنا أسباط بن نصر قال حدثنا سماك عن ملحان بن المخارق التيمي قال مر عمار بن ياسر علينا ونحن في حلقة فقمنا إليه فجلسنا حوله فقلنا حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك صاحبه ولو فارقتنا 89 لم نجد مثلك قال عليكم القرآن فإن فيه كنز الأولين والآخرين

قال حدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا شعبة عن أبي

إسحق عن عمرو بن مرة عن عبد الله قال من أحب العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين
قال وحدثنا حجين بن المثنى قال حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو عن عبد الله أنه كان يقرأ القرآن فيمر بالآية فيقول للرجل خذها فوالله لهي خير مما على الأرض من شيء فيرى الرجل إنما يعني تلك الآية حتى يفعله بالقوم كلهم ثم قال جعل الله جل وعز قارئ القرآن مع السفرة
قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن سعد بن هشام

الأنصاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يقرأ القرآن وهو له حافظ مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرؤه وليس بحافظ له وهو يتعاهده فله أجران
قال ثم جعل تبارك وتعالى قارئه في أعلا درجات الجنات ومن قرأ منه شيئا ارتقى في درج الجنات على عدد ما أخذ من آياته
قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفين عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منزلتك عند آخر آية تقرؤها
قال وحدثنا أبو النضر قال حدثنا أبو خيثمة قال

حدثنا موسى الفراء عن أبي عنبس عن عمران بن حطان قال سألت أم الدرداء فقلت حدثينا عن فضل القرآن فقالت إن درج الجنة على عدد آي القرآن وإنه يقال لصاحب القرآن إقرأ وارقه
قال وحدثنا يزيد بن هارون قال أخبر إسماعيل بن أبي خالد عن أبي قال حدثت أن ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة
رجل وعى كتاب الله جل وعز فأم به قوما وهم به راضون
ورجل يؤذن بالصلوات في كل يوم خمس مرات في الليل

والنهار يبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة

وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن عبادة ربه

قال وحدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا شيبان عن قتادة في قوله آلر تلك آيات الكتاب المبين قال أي والله مبين بركته ورشده وقوله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون قال إن المؤمن ليشكر نعمة الله عليه وعلى غيره قال وذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول يا رب شاكر نعمة غيره

قال وحدثنا سيار عن قتادة في قوله لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب إلى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه

قال القرآن مصدق الكتب التي قبله ويشهد عليها قوله وتفصيل كل شيء قال فصل الله حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته

قال وحدثنا أبو النضر قال حدثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن الأحوص قال كان عبد الله يقول تعلموا القرآن واتلوه تؤجروا بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف

قال وحدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد قوله النبأ العظيم قال القرآن

قال وحدثنا عثمان بن محمد قال حدثنا عقيل بن جابر

عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال حدثنا خباب ابن الأرت وخرجت معه من المسجد فقال لي إن استطعت أن تقرب إلى الله عز وجل فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب

إليه من كلامه
قال وفضل الله جل وعز أهل التلاوة للقرآن بتلاوته وأخبر أنهم يقومون بأمره فقال إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور يخبرهم أن تجارتهم في الآخرة هي الرابحة وأنها لا تكسد عنده حتى يوفيهم أجورهم من الجنة
قال حدثنا يحيى بن أبي بكير قال حدثنا شعبة

عن يزيد الر تلك قال قال مطرف بن الشخير هذه آية القرآن إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور إلى قوله غفور شكور
قال وحدثنا القثم بن القثم قال حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة يقول إن أبا عبد الرحمن السلمي حدثه عن عثمان بن عفان رضي الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه قال أبو عبد الرحمن فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا
قال وحدثني أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عبدة ابن سليمان عن الأعمش قال قال عبد الله من قرأ القرآن فهو غنى
قال وحدثنا أبو النضر قال حدثنا الهيثم بن جماز عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن وإن أفضل العبادة الدعاء

قال أبو النضر عن شعبة عن سليمان التيمي قال سمعت أبا عمر قال قال سليمان لو أن رجلا بات يتلو كتاب الله وبات آخر يحمل على القباب البيض لرأيت الذي بات يتلو أعلاهما أجرا

قال وحدثنا أبو النضر قال حدثنا صالح الناجي عن قتادة عن زرارة بن أوفى قال قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله عز وجل قال الحال المرتحل قال صاحب القرآن أن يضرب من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل

قال ثم أكد الحجة على من تلا كتابه وحفظه وألزمهم

من الفروض ما لم يلزم غيرهم فقال ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

فأخبر جل وعز أن كل من أتاه الله الكتاب والحكمة من النبيين أنه أمره أن يبلغ قوله أن الله جل وعز أمرهم أن يكونوا حكماء علماء فقهاء بما علموا من الكتاب وبما كانوا يدرسون

وقال عز من قائل إنا أنزلنا التورية التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فأوجب عليهم الحكم بما استحفظوا من كتاب الله وشهدوا أنه الحق ثم أوجب عليهم أن لا يخشوا عباده في القيام به فيهم فقال فلا تخشوا الناس واخشون ثم قال إن كنتم مؤمنين قد صدقتم بي وبكتابي

القسم الثاني

في فقه القرآن

قلت قد علمت أن في فهمه النجاة وفي الإغفال عنه الهلكة فلو ذاب أهل السموات وأهل الأرض حين يسمعون كلام الله عز وجل أو ماتوا خمودا أجمعون لكان ذلك حق لهم ولما كان

ذلك كثيرا إذ تكلم الله عز وجل به تكليما من نفسه من فوق عرشه من فوق سبع سمواته فإذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم به لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز وفهم معاني قوله تعظيما وحبا له وإجلالا إذ كان تعالى قائله فحب القول على قدر حب قائله

وكذلك نجده في فطرنا فيما بيننا وبين الخلق

نحب قول الأخ والقرابة والعالم والشريف على قدر محبتنا له ونجل قوله ونعظم ونردد ذكره ونتفهم معانيه على قدر حبنا له وإجلالنا له

فكلام العالم عندنا أحلى وألذ وأرفع وأجل من كلام الجاهل وكلام الشريف من كلام الوضيع وكلام من أحسن إلينا لا كمن لا إحسان له إلينا وكلام الناصح المتحنن أحسن من كلام من لا ينصحنا ولا يتحنن علينا حتى إن كلام الوالدة نجد له من اللذة والحلاوة ما لا نجد من كلام غيرها لمعرفتنا برحمتها ونصحها وتحننها علينا

فلا أحد أعظم من الله عز وجل عندنا قدرا ولا أشرف بل لا شرف ولا قدر لمن لم يجعل الله عز وجل له الشرف والقدر ولا أحد أعلم من الله جل وعز 91 ولا أحد أقرب لنا ولا أرحم ولا أعظم تحننا من الله تعالى بل لم يرحمنا راحم ولم ينصحنا ناصح ولم يتحنن علينا متحنن إلا بما استودع لنا في قلبه وسخره لنا بالرحمة والنصح

ألم تسمع قول عبد الله من أراد أن يعلم أنه يحب الله عز وجل فلينظر هل يحب القرآن

وحدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق

عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال من سره أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله

حدثنا حجين بن المثنى قال حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فمن كان يحب الله ورسوله فمن كان كذلك محبا له يحبه الله والله أحب إليه من نفسه ومن كل شيء كان

تلاوة القرآن وتفهمه ألذ الأشياء عنده وأنفعها لقلبه ولم يمل من تلاوته ولم يقنع بتلاوته دون أن يطلب الفهم لمعاني ما أراد الله عز وجل من تعظيمه وتبجيله ومحبته وأمره ونهيه وإرشاده وآدابه ووعده ووعيده ويعلم أنه لا ينال منافع آخرته ولا الفوز فيها والنجاة من هلكتها إلا بالعلم الدال على كل نجاة والمنجي له من كل هلكة ولا نجاة له في آخرته ولا اعتصام له في انتهائه عما يستوجب به عذاب ربه إلا بالعلم الدال على ذلك

فإذا علم ذلك رغب في العلم ليحركه لطلب الفوز من عذاب الله تعالى ومن سبيل كل هلكة ويدل على سبيل محجة النجاة عن بيان وبصيرة ويجانب طرق الردى بعد إيضاح واستبانة لها

فإذا رغب في ذلك نظر بعقل صحيح أن العلم أرفع للمقدار وأنفع للقلوب وأفتحه لأبصارها فعلم أن العلم على قدر العالم فأي العلماء أعلم كان طلب علمه أحب إليه من طلب علم من هو دونه في العلم

ألا ترى أن الاستماع من الرسل عليهم السلام والتفهم عنهم أولى وأرفع عند الناس لعظيم قدرهم لأنهم عن الله عز وجل أخذوا علمهم وأنهم معصومون من الخطأ من الله جل وعز في دينه فقد لزم قلوب المؤمنين الأمان من الخطأ فيما أخذوا عنهم من العلم وكذلك اتباع الرسل أرفع في العلم ممن دونهم من التابعين

فاعرف ذلك ثم اعرف القرآن كلام من هو وهل أحد

أعلم من قائله والمتكلم به ولا يصيب أحد علما إلا من قائله وهو الله رب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

فإذا كان الله جل ثناؤه عندك أعلم العلماء بل لا علم لأحد إلا من علمه ألم تسمعه تعالى يقول وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى الله جل وعز

وقد قال عبد الله من أحب العلم فليقرأ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين

فإذا كان ذلك عندك لم تؤثر على كلام الرب سبحانه علما من العلوم ولم تجد له حلاوة ولا

شاهدا لتلاوته وفهمه فيكون فهمه عندك ألذ الأشياء وأحلاها حبا لقائله وتعظيما وإجلالا للمتكلم به لأنه كلام القديم الأول والعظيم الأجل والكريم الأعلى أنزله على عباده ليعرفهم به نفسه ويذكرهم به أياديه وينبههم به من رقدات الغافلين ويحيي قلوبهم وينور به أبصارهم ويشفي به الصدور ويزيل جهلها وينفي شكوكها

ويغسل به دنسها وزيفها ويوضح به سبيل الهدى ويكشف به العمى والشبهات ويزيل نوازع الشيطان ووساوس الصدور ويغني به من فهمه ويقربه من عقله وينعم به من كرر تلاوته ويرضى به عمن اتبعه

هو طريق الله المستقيم الذي من سلك ما دله عليه أوقفه على الرغائب وسلمه من جميع المهالك وأورده رياض جوار الرب جل وعز وخفف عنه أهوال يوم العرض والنشور وعلا في درجات جوار الرب جل ذكره منزله وقربه من القبول يوم الزلفة لديه 92

هو حبل الله المتين الذي لا انقطاع له من تمسك به نجا ومن لها عنه عطب ومن ابتغى في غيره ضل ومن فهمه نطق بالحكم وجرى لسانه بحسن الموعظة وكان من العلماء بالله جل وعز

ومن عقل عن الله جل ذكره ما قال فقد استغنى به عن كل شيء وعز به من كل ذل لا يتغير ولا ينقص حلاوته ولا تخلق جدته في قلوب المؤمنين به على كثرة الترداد والتكرار لتلاوته لأن قائله دائم لا تتغير ولا يحدث به الحوادث

وكذلك كلامه لا يتغير في قلوب المؤمنين التالين على كثرة الترداد والتكرار لتلاوته

وكل كلام من نبي أو صديق أو خطيب بليغ أو قائل شعر فالقلب يمل من كثرة تلاوة له وذلك موجود في الفطرة لا يختلف فيه أولوا الألباب

ولو كان الله جل ذكره وعز أنزله بلسان لا نفهمه ولا نعرف معانيه إذا تلي إلا أنا نعلم أنه كلام الإله جل وعز الذي ليس كمثله شيء ثم ذبنا وذاب أهل السماء والأرض لحق لنا ولهم ذلك

بل لو ذكر الخلايق أن لله جل وعز كلاما تكلم به ولم يسمعوه ثم صعقوا أجمعون هيبة وتعظيما له لعظيم قدر المتكلم به لكان ذلك حقيقا ولما كان كثيرا
وكذلك إذا تلى التالي بالعربية ونحن نسمع الصوت ولا نفهم معاني ما يتلوه إلا أنا نعلم أنه يتلو كلام ربنا جل ربنا وتعالى لما كان عجيبا لو متنا أجمعون إجلالا وتعظيما له

لعظم قدر المتكلم به سبحانه الذي لا يعدل قدره شيء وذلك موجود عندنا في فطرنا أنا نسمع الكلام ممن نحب من الخلق ومن نعظم قدره فنسمع صوته ولا نفهم ما يقول فترتاح لذلك قلوبنا ويعظم ويجل في صدورنا فكيف بكلام ربنا جل ثناؤه وتعالى
الأول بغير بدء ولا مسبوق وكيف وقد تكلم به بنفسه من فوق عرشه وأنزله مع الأمين من ملايكته إلى أمين أهل الأرض لئلا يرتاب أن يكون زيد فيه ما لم يقل أو نقص منه حرف واحد يتلى علينا بلسان عربي مبين يصف لنا به نفسه فلو كان ما أنزل من كلامه لم يصف لنا به نفسه ولا ذكر لنا به نعمه ولا أمرنا فيه بأمره ولا نهانا فيه عما يكرهه ولا أدبنا فيه بأدبه ولا توعدنا فيه بعذاب ولا وعدنا فيه ثوابا إلا حديثا على ما يحدث الرجل أخاه به وصغى بأذن المستمع له ليس فيه عهد ولا عقد ولا سعة في دين ولا دنيا إلا أنه يحدثه بما علم ويخبره بما رأى وسمع فإذا كان للذي يحدثك عندك قدر أصغيت إلى حديثه باستماع ما يقول وتفهم معاني ما يصف ولو

كان يحكيه لك عنه حاكي لفعلت ذلك حبا منك لقائله وتعظيما للمتكلم به ولو أطلعه الله عز وجل على قلبك وأنت متشاغل عنه لا تفهم عنه قوله لمقتك وعلم أنك تسهو عن حديثه ولم تعبأ بفهم قوله لقلة قدره وقدر حديثه عندك
ولو كان له عندك قدر لاستمعت لحديثه ولم تله عن تفهمه وإنما لهوت عن حديث من حدثك من الخلق أنه غاب عنهم علم ضميرك ولو كان لهم باديا ما فيه لأحضرت عقلك إليهم وإلى حديثهم ولم ترض لهم بالاستماع لحديثهم دون الفهم له ولا بالفهم له دون تحببهم على قدر حديثهم لتعلمهم أنك قد فهمت عنهم ولم ترض لهم بالجواب دون أن توافقهم

فتعظم ما عظموا وتستحسن ما استحسنوا وتستقبح ما استقبحوا هذا وأكثر حديثهم لغو ولهو وليس فيه منفعة ولا دنيا ولا حق لهم يؤكدوه عليك بقولهم ولا يرضون عنك بفهمه ولا تحب لهم أن يسخطوا عليك إن لم تكن تفهمه وتقوم به

فكيف بالرب الكريم الذي سهل لك مناجاته وأقبل عليك ولم يتكلم به لغوا ولا قاله لهوا ولا عبثا ولا خاطب

به سهوا ولا تفكها ولا استراحة إليك تعالى الله جل وعز عن ذلك علوا كبيرا

وإنما تكلم 93 به مخاطبة قصدا وإرادة وتوكيدا للحجة عليك وعلى خلقه إعذارا إليهم وإنذارا فكف يرضى عنك دون أن تسمعه وتحضر عقلك وتفهم معاني قوله وأن لا تتشاغل بشيء من الأشياء دون أن تستقصي منهم معانيه

وكيف يرضى بذلك وإنما كلمنا بعزائم العهود وأوكد المواثيق وحقائق الأمر والنهي ولا يرضى منهم باستماعهم مواعظه دون فهمها ولا بفهمها دون العزم على القيام بحقوقه فيها ولا بالعزم على القيام بحقه فيها دون الصبر على القيام بحقوقه في أوقات وجوبها بغير تسويف ولا تأخير لأنه كلام أقبل علينا به بجلاله وكبريائه مخاطبا لنا به فعرفنا به أنه لا إله غيره ويأمرنا بما يرضى به ويقربنا منه ويوجب لنا جواره والقرب منه والنظر إليه ويوجب لنا به إن ركبنا ما يسخطه عذابه الأليم في خلود الأبد الذي لا انقطاع له ولا زوال ولا راحة

وندبنا فيه إلى الأخلاق الكريمة والمنازل الشريفة وأخذ علينا الميثاق المؤكد فكيف يرضى بتلاوته والقلب مشغول بالدنيا وقد طبعنا طبعا لا نعرف ما نتلو دون أن نصغي إليه بأسماعنا ولا نفهمه وإن أصغينا إليه حتى نحضر له عقولنا إلا بقطعها عن النظر في كل شيء سواه ولا نفهم قوله دون أن نعظم ما قال في قلوبنا ونعظم قدر رضاه وسخطه ولا يعظم ذلك عندنا مع طول موالاتنا بالدنيا والاشتغال بذكرها وذكر أهلها إلا بتكرار التلاق والدوام على تقصي العقل تقصي ذلك والتيقظ له حتى نفهم ما قال فينتبه العقل من غفلته ويشاهد علم الغيوب ببصره ويتوهم عظيم الجزاء الثواب والعقاب برؤية بصره

فعند ذلك يعقل التالي عن ربه عز وجل فيقول ما قال عنك كرائي عينه وما أقبل عبد على الله جل وعز إلا أقبل الله عليه وأسرع إليه الإجابة فكذلك إذا أقبل على الله تعالى وذكره بطلب الفهم أسرع إليه بالإفهام له وكذلك ضمن للمقبلين إليه بعقولهم لفهم كلامه عنه فقال عز وجل إن في ذلك لذكرى

لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

وقال مجاهد شهيد شاهد القلب ليس بغايب فعندها شاهد قلبه الغيب كرائي العين

وفهم كتاب الله يورثه النفس الثابت في القلب فإذا ثبت فكأنه يعاين ربه جل وعز ووعده ووعيده ومما يبين ذلك ما روي عن أبي بن كعب حين سمع رجلا يقرأ فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأه فقال أحسنت قال وضرب صدري وقال اللهم أذهب عنه الشك فارفضت عرقا وامتلأ جوفي خوفا

فإذا ثبت للنفس كان كالعيسان

كان العبد في الدنيا ببدنه وقلبه معلق بالله جل وعز وبغيب معاده

فاتق الله ولا تجعل كلامه منك بظهر وقلة اكتراث منك بفهم ما قال وذلك عليه فإنه يجل من أجل كلامه ويهون عنده من لم يعظم كلامه

فمن أجل كلامه آثره على كل كلام ومخاطبة وعلى كل

علم ليفهمه عنه ويقوم بحقه بمعرفة وفهم

ولو عقل عن الله جل وعز فهم آية واحدة كما كفته أيام الحياة في القيام بحق الله فيها

فكيف بما قال في كتابه من الدلائل والشواهد والأمثال والوصف له ولما في المعاد من الثواب والعقاب ويبين لك ذلك ما حدثناه يزيد بن هارون قال أخبرنا جرير بن حازم قال أخبرنا الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي لا أبالي ألا أسمع غيرها فهذا رجل لم يهاجر ولم يلزم النبي صلى الله عليه وسلم

أعرابي لم يبتن في الإسلام ولم يقرأ القرآن قبل ذلك أقرأه النبي صلى الله عليه وسلم آية فاكتفى بها 94 وورثته الحياء من الله جل وعز فكيف بمن ولد في الإسلام وعلمه الله عز وجل كتابه وسمع تفسيره وكتب الآثار عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأوليائه الصالحين لا يفهم كتاب الله جل وعز يتلوه من أوله إلى آخره وذاك لأنه تلاه دارسا والقلب مشغول بغير فهمه ولا طلب معانيه وذلك لقلة تعظيمه لقائله وإغفاله الرحمة لنفسه وقد

ضمن من لا يخفى ضمانه ووعد من لا يخلف وعده جل ربنا أن ما أنزل من كلامه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فما أحق من أغفل عن فهم كتابه أن يستحي من ربه عز وجل ويأسف على ما مضى من عمره ومرض قلبه وهو لا يزداد إلا سقما ومرضا وذلك لقلة مبالاته بدائه ترك طلب شفائه بما قال مولاه وتدبر ما تكلم به خالقه وقد رآه مولاه وهو يعني بفهم كتاب مخلوق وحديثه وليس في كتابه وحديثه إياه خلود الأبد في النعيم ولا النجاة من عذاب لا ينقطع بل لعل ما فيه ما الاشتغال به ضرر عليه ومسخطة لربه عز وجل ولعل فيه ما الاستغناء بغيره أولى أو لعل فيه حاجة لا قدر لها أو خبر بحيث أن يعلمه من أخبار الناس أو حاجة بكلفة لا يأمل لها مكافأة ولا يحثه على القيام بها إلا خوف عذله ولائمته

وكيف يكون المولى تبارك وتعالى وقد علم منا أنا قليل تعظيمنا له ونحن لا نعبأ بفهم كلامه وتدبر قوله فيما خاطب به كما نعبأ بفهم كتب عبيده وحديثهم الذين لا يملكون لنا ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا تبارك من

يملك ذلك كله وذلك أنه قدر رآنا يأتي أحدنا كتاب من القرابة أو الأخ أو العامل أو الجار فلا يتمالك أن يقرأه ويقرؤه مرارا من حبه لصاحبه ولا يرضى بقراءة حروفه دون الفهم بما كتب به إليه بإحضار عقل وفقه للحروف ليفهم ما أراد وما الذي به أمر ونهى وما أوصى فإن أشكل عليه استخراج بعض حروفه استعان بغيره على قراءته ليستخرج له ما لم يستخرجه ليعرف بذلك ما معنى الذي كتب به وما الذي أراد وما الذي يكن خوفا أن يفوته فيه معنى

منفعة أو علم مضرة ليحذرها
وربما كتب إليه من لا يأمل ذلك منه يكتب بحاجة يطلبها أو شيء أراد أن يعلمه فما يترك أن يستقصي فهم كتابه ليفقه الحروف مع فهم القلب معنى الذي أراد وكتب يبعثنا على تأمل كتابه محبة منا إليه لخبر ورجاء منا لخبره أو جزعا منا لخوف فوت منفعة نالها منه آجلا أو قرب جواره أو تفهما لسؤالنا حاجة أو أمل مكافأته أوجبت محمدته أو خوفا أن يفوتنا ما يريده فيلومنا في تقصيرنا أو حياء منه أن نقدم عليه فيسألنا عن بعض ما كتبه فلا تقوى قلوبنا ونستحي أن نجيبه بأنا لم نقرأ كتابه أو أنا قرأناه ولم نفهم ما كتب به لأنه

يرى أن ذلك تهاون منا به وقلة عناية منا بالمرة فغدا نقدم على الله جل وعز فنلقاه ويسائلنا عن كتابه الذي أنزل إلينا مخاطبا لنا به وكيف فهمنا عنه وكيف عملنا به وهل أجللناه ورهبناه وهل قمنا بحقه الذي أمرنا به وجانبنا ما نهانا عنه مع ما يفوتنا من جواره وما نستوجب من عقابه
ألم تسمع مسائله الجن والإنس جميعا يوم القيامة بما أقام عليهم به الحجة في الدنيا من تلاوة آياته عليهم من رسله وأنه قطع بذلك عذرهم وأدحض به حجتهم فقال يوم العرض يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
وقال عز وجل ألم تكن آياتي تتلى عليكم
وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله 95 يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه إلى قوله أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل الآية

فلما جاءهم تأويل ما قال عز وجل من الذي توعد به نادوا بالندامة على نسيانهم ما جاءتهم به رسلهم من كلام ربهم عز وجل وتركهم فهمه ونادوا بالشفاعة أو بردهم إلى الدنيا فيعقلوا عنه كلامه ويقوموا بحقه

قلت فهل أستعين على فهم معاني ما أتلو أو يتلى علي
قال بإحضار عقلك فبذلك تفهم وتذكر ألم تسمعه عز وجل يقول إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
قال مجاهد أو ألقى السمع لا يحدث نفسه بغير ما يسمع وهو شهيد قال شاهد القلب
قلت فكيف أحضر عقلي حتى يكون شاهدا لا يغيب عن فهم كلام ربي جل وتعالى
قال بأن تجمع فهمك حتى لا يكون فهمك متفرقا في شيء غير طلب الفهم لكلام مولاك

قلت وكيف أجمع همي حتى لا يتفرق في شيء سوى ذلك
قال تمنع عقلك من النظر في شيء سوى طلب فهم كتاب ربك جل وتعالى
قلت وكيف أجمع عقلي
قال بأن لا تشغل جوارحك بما لا يشتغل به عقلك وأن تستعمل كل جارحة بما يعينك على الفهم كنظرك في مصحف واستماعك إلى تلاوتك أو تلاوة غيرك وتمنع عقلك من فكر وذكر يقوى طلب فهم كلام مولاك لأنك إذا لم تشغل جوارحك بشيء غير ذلك ومنع عقلك عن النظر والفكر في غير ذلك اجتمع همك وحضر وإذا حضر عقلك زكا ذهنك وإذا زكا ذهنك قويت على طلب الفهم واستبان فيه اليقين وصفا فيه الذكر وقوي فيه الفكر وبذلك مدح المستمعين لتلاوة كتابه بالفهم فقال عز وجل فلما حضروه قالوا أنصتوا أي قالوا صه أفلا نسمع الله عز وجل مدحهم بأن سكتوا عن الكلام لئلا يشتغلوا عن

فهم ما يتلو نبيه عليه السلام عليهم وهذا ولم يعلموا ما فيه وما هو فلما قضى وفهموا عن الله عز وجل ما تلا عليهم نبيه عليه السلام ولوا إلى قومهم منذرين تحدثوا وفهموا من الله عز وجل ما سمعوا فقالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وينجيكم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء وقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به الآيات

لقد نطقوا بالحكم عن فهم بين وعن عقول ذكية في استماع آيات في مقام واحد فدعوا إلى إجابة الله عز وجل وأملوا المغفرة والنجاة من العذاب الأليم وأخبروا أنه من أعرض عما تلا نبيه من كلام ربه عز وجل لا يعرف الله وأن مصيره إليه

هذا الأدب والفهم من استماع آيات في مقام واحد في أقل من ساعة فكيف بمن وعى القرآن كله من صغره ويكرر

تلاوته من صباه إلى كبره وعمر السنين الكثيرة ويكرر تلاوته لم يعقل عن ربه ولم يفهم كلام مولاه فيقوم بحقه وكان أول ما تداعوا الأدب لاستماع ما تلى نبيه عليه السلام بتناهيهم عن الاشتغال بالمحادثة عن كلام ربهم ولقد ذم مولانا عز وجل المتشاغلين عند استماعهم بالمحادثة فقال تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى

فاحرص أن لا يكون فيك خلق ذم الله عز وجل به كافرا وإن كنت مؤمنا فإن من كمال الإيمان مخالفة أهل الكفر بالقول والفعل فيما نهى الله عز وجل عنه ولقد وعد ربنا عز وجل الرحمة وأمرنا أن نطلبها منه بالاستماع والإنصات لفهم كلامه فقال وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا فجعل الاستماع بترك الكلام لتفهم كلامه يوجب الرحمة قبل العمل بما يسمع وقال عز وجل فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون 96

أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

فمدحهم بالهدى ووصفهم باللب وأثنى عليهم في آي من القرآن فإذا أحضرت عقلك بجمع همك بنية صادقة مع أمل ورجاء أن تنال ما قال وتسارع إلى محابه وتجتنب مساخطه وتريده وحده ولا تريد أن تفهم منه ما تتصنع به عند العباد فإذا نظر الله عز وجل إليك وأنت كذلك وعلم ذلك من ضميرك أقبل بلطفه وولي تقويم عقلك بفهم كلامه وما فيه من علم الغيوب ومكنون الوعيد فحينئذ تكون للقرآن مفهما فتستنطق منه علم ما عميت عليك فيه الحجة فيوضح الله لك به البرهان ويمدك بالفوائد ويجلي عنك ظلم الشبه ويدلك على

محجة المهتدين ويذيقك الحلاوة التي أذاقها أهل التقوى لأن كلامه ربيع قلوب الأبرار ويثقل فهمه على من تعطل قلبه وهو الذي هتك حجب قلوب الفهمين فأهاج منهم الفؤاد والزفرات أسفا على ما فات من أعمارهم وما أحصى

الله عليهم من ذنوبهم وأشخص أبصار قلوبهم إلى ملكوت جواره فطال حنينهم واشتياقهم إلى الخلود في دار الأمل في جوار رب العالمين مع خوف الحرمان لما سلف من جرائمهم فإن طلبت الفهم بالصدق أقبل عليك بالمعونة تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون لا يثقل فهم كلامه إلا على من تعطل قلبه ألا يسمع وربنا جل وعز يقول ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسعهم لتولوا وهم معرضون
فأخبر أنه لو علم فيهم خيرا لأفهمهم لأنهم لم يكونوا صما وكانوا يسمعون قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ضيعوا الفهم ألا تسمعه يقول لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

ألا تسمعه يقول ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون لا يعني أنهم كانوا صما ولكن لا يفقهون ما يسمعون بآذانهم ألا تسمعه يقول وتراهم ينظرون إليك فأثبت النظر منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وهم لا يبصرون
يقول لا يعقلون دلائل الله عز وجل في نبوته عليه السلام فإن علم من التالي لكتابه صدق ضمير وعناية حتى يجمع همه للفهم أفهمه ألا تسمعه يقول إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم
فإذا أقبلت على الله تعالى بصدق نية ورغبة لفهم كتابه باجتماع هم متوكلا عليه أنه هو الذي يفتح لك الفهم لا على نفسك فيما تطلب ولا بما لزم قلبك من الذكر لم يخيبك من الفهم والعقل عنه إن شاء الله

القسم الثالث

في المحكم والمتشابه

قلت ما الذي ينبغي لي أن أعرفه قبل طلب الفهم لكتاب الله عز وجل لأن لا أغلط فأعتقد ما لا يرضي الله جل ثناؤه من المعاني أو أنفي ما يرضيه من المعاني فاخطر عليه فابتدع بدعة أو أوجب فرضا قد أسقط بالنسخ بعد وجوبه أو يشتبه علي تلاوته فيجد العدو موضع تزين للشك فيما اشتبه علي وأقدم ما أخره أو أؤخر ما قدمه أو أعم خبرا أو فرضا أو وعيدا خاصا فأظنه عاما أو أخص خبرا أو وعيدا أو أمرا عاما فأجعله خاصا أو أبدل محكما متشابها أو متشابها محكما

قال أن تعلم أن القرآن منه ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وله وجوه

فمنه متشابه في التلاوة من غير أن ينسخ بعضه بعضا ومنه متشابه لاختلاف أوقاته في الواجب وفي

الكائن مما أخبر الله أنه كائن ومنه متشابه والمعاني مختلفة ومنه مقدم ومؤخر ومنه خاص وعام ومنه 97 موصول ومفصول ومنه غريب اللغة ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالسنة أو بالإجماع ومنه ما لا يعرف معناه إلا بعد تلاوة ما يأتي في سورته وأمثال وغير ذلك

حدثنا القاسم بن سلام قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة القرشي عن ابن عباس في قوله جل وعز هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات قال المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به ولا يعمل به

حدثنا أبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان قال حدثنا يحيى بن

سعيد عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر بقاص يقص فقال هل تعلم الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت
وحدثنا القاسم ابن سلام قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة القرشي عن ابن عباس في قوله جل وعز ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقال المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله

وحرامه وأمثاله فأما قوله وما يعلم تأويله إلا الله يعني يوم القيامة لا يعلمها إلا الله
قال أبو عبد الله وروي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال لكل آية من كتاب الله ظهر وبطن وحد ومطلع
قال أبو عبد الله أما ظاهرها فتلاوتها وأما باطنها فتأويلها وأما حدها فمنتهى فهمها وعند هذه الخلة فرق الله بين الصادقين والكاذبين ممن تلاها أو من عرف تفسيرها ولم يبلغ منتهى فهمها أو صادق بلغ منتهى فهمها لأن أقل الصدق من المؤمن المريد بعد الإيمان بالآية أن يفهمها عن ربه وأن يعمل بها
وإنما قصر بالناس عن فهمها قلة تعظيمهم لقائلها وأما مطلعها فمجاوزة حدها بالغلو والتعمق والفجور والمعاصي من ذلك قول الله جل وعز تلك حدود الله فلا تعتدوها

وقال غيره وروي عن ابن عباس قال أنزل القرآن على أربعة أوجه حلال وحرام ولا يسع جهله وتفسير يعلمه العلماء وعربية تعرفها العرب وتأويل لا يعلمه إلا الله يقول الراسخون في العلم آمنا به كل من عند ربنا
وكان ابن عباس يقرأ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
وقال عبيدة السلماني من أين يعلمون تأويله وإنما انتهى علم الراسخين إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا
وقال قتادة المحكم ما يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي لا يعمل به
قال الكلبي هو ألم وألمر وألمص وأشباه ذلك

وقال ابن عباس هو التقديم والتأخير والمقطوع والموصول والخاص والعام
وقال مجاهد هن أم الكتاب يعني ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك منه المتشابه
وسئل مالك بن أنس عن قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله الآية أيعلم تأويله الراسخون في العلم قال لا وإنما معنى ذلك أن قال وما يعلم تأويله إلا الله ثم أخبر فقال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وليس يعلمون تأويله والآية التي بعدها أشد عندي قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا هنا قال مالك الراسخون في العلم هم العاملون علموا المتبعين له

قال أبو عبيدة وأخر متشابهات يشبه بعضه بعضا
وذكر عن مجاهد أنه قال يعلمونه ويقولون آمنا به
وقال بعض أهل اللغة وإنما معناه كأنه قال والراسخون في العلم قائلون آمنا به

القسم الرابع باب ما لا يجوز فيه النسخ وما يجوز ذلك فيه

صفات الله وأسماؤه

اعلم أن النسخ لا يجوز في معنيين ومن دان بأنه يجوز فيهما النسخ فقد كفر لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله جل ثناؤه ولا صفاته ولا أسماؤه يجوز أن ينسخ جل وعز وصف نفسه بصفاته الكاملة وامتدح نفسه بمدحه الطاهرة 98 وبأسمائه الحسنى فمن أجاز النسخ فيها أجاز أن يبدل أسماءه الحسنى فيبدلها قبيحة سوآى وصفاته وصفاته الكاملة العلية فتكون دنية ناقصة سفلى ومدحه الطاهرة فتكون مذمومة دنية جل وتعالى عن ذلك علوا كبيرا

أخباره تعالى عما كان ويكون

ولا يجوز النسخ في أخباره تعالى عما كان ويكون فيكون بذلك منصرفا من الصدق إلى الكذب ومن الحق إلى الهزل واللعب وإنما ينسخ أخباره الكذاب أو

المخبر بالظن فيرجع عن قوله إلى أن يكذب نفسه ويبطل قوله وذلك كقول القائل رأيت كذا وسمعت كذا ثم يقول بعد لم يكن ما أخبرت أني رأيته وسمعته

ونجد أن شيئا قد كان ثم يخبر أنه لا يكون فيكذب نفسه فيما أخبر ويدل أنه أخبر بما لا يعلمه أو يكذب نفسه فيخبر أن ما أخبر به أنه سيكون إنما قال متعمدا للكذب أو قاله بالظن وأنه كان جاهلا به ثم رجع عن ظنه وبذلك صفة الكذاب

وقد جوز فريق من الروافض في أخبار الله جل ثناؤه التناسخ وهذا الكفر لا يجوز أن ينسخ الله خبره أنه خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر الملائكة أن يسجدوا

له فسجدت الملائكة كلها إلا إبليس ولا أخباره عما مضى من الرسل وعما كان في الدهور الخالية مما أخبر أنه كان فنجد أن ذلك لم يكن وكذلك ما أخبر عز وجل أنه سيقيم القيامة وأنه يبعث من في القبور وأنه يصير فريقا في الجنة وفريقا في السعير ولا ما يقول أهل الجنة وأهل النار وأنه يخلد أهل الجنة فيها ويخلد المشركين في العذاب الأليم فيخبر خلاف ذلك كله لأن ذلك يوجب بالخبر الثاني لزوم الكذب في الأول ولزوم البراءة وأنه أراد أن يفعل فاستبدل فأراد أن لا يفعل رجوعا عن قوله والرجوع عن القول الكذب والبداء من الجهل بالعواقب

ومن ذلك حدوث الإرادات في ذاته بالذوات وذو البداوات جاهل بما يكون فيما يستقبل

ولا جائز أن يخبر بأمر كان ثم يخبر أنه لم يكن أو يخبر بأمر لا يكون ثم يخبر أنه سيكون أو يخبر

أنه لا يفعل ثم يخبر أنه سيفعل أو يخبر عن شيء أنه لا يفعله ثم يخبر أنه يفعله كما قال عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين فأخبر أنه آخر من يبعث ثم يخبر أنه يبعث بعده نبيا أو يبعث نبيا بعدما أخبر أنه آخر من يبعث من النبيين

وكما قال للأعراب قل لن تخرجوا معي أبدا فلما قالوا بعد خبره هذا ذرونا نتبعكم قال الله جل وعز يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله تعالى من قبل وقال لا مبدل لكلماته جل عن الجهل والبداوات

وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلى أو يصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعدما أخبر أنه عالم الغيب

وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الأصوات وأنه لا قوة له ولا قدرة على الأشياء ولم يتكلم بشيء ولا الكلام كان منه ولا له الخلق والأمر وأنه تحت الأرض لا على العرش جل عن ذلك وتعالى علوا كبيرا

فإذا عرفت ذلك واستيقنته فتلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله في فرعون حتى إذا أدركه الغرق وقال فاليوم ننجيك ببدنك وكقوله يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار أنه لم يرد به النجاة من الغرق في الدنيا ولا من العذاب في الآخرة

وقد تأول قوم أن الله جل ذكره عنى أن ينجيه ببدنه من النار إذا آمن عند الغرق وقالوا إنما ذكر أن قوم فرعون يدخلون النار ولم يذكر أنه يدخل فرعون النار وإنما قال يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ولم يقل فيردها

فرعون وقال وحاق بآل فرعون سوء العذاب فأخذه الله نكال الآخرة والأولى

وإنما معنى قوله ننجيك ببدنك أن الله جل وعز لما غرق فرعون وقومه لم توقن بنو إسرائيل بذلك وقالوا ما غرق فرعون وإننا نخاف أن يلحقنا فيقتلنا فأمر الله جل شأنه البحر 99 فألقى

بدنه بغير روح على ضفة البحر ليستبين بنو إسرائيل بغرقه فلما ألقاه البحر نظرت إليه بنو إسرائيل فجعلوا يمثلون به

وكذلك إذا تلوت قوله فليعلمن الله الذين صدقوا الآية وقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية فظاهر التلاوة على استئناف العلم من الله بجهاد المجاهدين وصدق الصادقين وكذب

الكاذبين وجل الله أن يستأنف علما بشيء وكيف وكل شيء يكون فهو يكونه فلم يأت إلا وقد تقدم العلم منه به وكيف يأتي وكيف يكون ولو لم يكن يعلم كيف يكون ما أحسن أن يكونه أبدا لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه كيف يكون يحسن أن يصنعه ومن لم يحسن كيف يصنعه لم يقدر أن يصنعه

وهذا نجده ضرورة في فطرنا فلو لم نر كتابا قط ولم نحسن أن نكتب لم يجز لنا أن نكتب كتابا مؤلفا بمعاني مفهومة بالتخمين أبدا وكذلك جميع الصناعات من لم يرها فيعلمها أو توصف له فيعلمها لم يحسن أن يأتي بها أبدا فالله جل ذكره أولى بعلم ما يكونه قبل أن يكونه

ألم تسمعه يقول ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقد يستدل على ذلك من عقولنا أن من فعل شيئا بحكمة فلم يفعله حتى كان عالما قبل أن

يفعله فأتى به كما أراد أن يكون وقد علم كيف يجيء

وقد امتدح الله جل وعز بعلم ما قد كان وما سيكون وما لا يكون أو كان كيف كان يكون فمدح نفسه بعلم جميع الغيوب فقال جل من قائل وربك أعلم بمن في السموات والأرض وقال وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وقال عالم الغيب والشهادة وقال علم الله أنكم ستذكرونهن وقال علم أن سيكون منكم مرضى الآية

وأخبر بما لا يكون أو كان كيف كان كيف يكون فقال عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقال لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فأخبر أنه قد علم أنهم لو

نصروهم لولوا الأدبار وإنما قوله حتى يعلم ولما يعلم وليعلمن إنما يريد حتى يراه فيكون معلوما موجودا لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوما قبل أن يكون ويعلمه موجودا

كائنا فيعلم في وقت واحد أنه معدوم موجود أنه قد كان وأنه لم يكن بعد وهذا المحال
وإنما لم يجز أن يقال يعلم الله أن الشيء قد كان لأن الشيء لم يكن بعد فإن الله جل وعز لا يجوز أن يكون جاهلا به أنه سيكون وذلك موجود فينا ونحن جهال وعلمنا محدث قد علمنا أن كل إنسان ميت فكلما مات إنسان قلنا قد علمنا أنه قد مات من غير أن نكون قبل موته جاهلين أنه سيموت إلا أنا قد يحدث لنا العلم من الروية وحركة القلب إذا نظرنا إليه ميتا بأنه ميت
والله جل ذكره لا تحدث فيه الحوادث لأنا لم نجهل موت من مات أنه سيكون وكذلك علمنا أن النهار سيكون صبيحة ليلتنا ثم يكون فنعلم أنه قد كان من غير جهل منا تقدم أنه سيكون
فكيف بالقديم الأزلي الذي لا يكون موت ولا نهار ولا شيء من الأشياء إلا وهو يخلقه ونحن لا نخلق شيئا

وكذلك قوله جل وعز لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها وقوله إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
ليس ذلك ببدء منه لحدوث إرادة حدثت له ولا أن يستأنف مشيئة لم تكن له وذلك فعل الجاهل بالعواقب الذي يريد الشيء وهو لا يعلم العواقب

البداوات وحدوث الإرادات

فلم يزل تعالى يريد ما يعلم أنه يكون لم يستحدث إرادة لم تكن لأن الإرادات إنما تحدث على قدر ما لم يعلم المريد فأما من لم يزل يعلم ما يكون وما لا يكون من خير وشر فقد أراد على علم لا يحدث له بداء إذ كان لا يحدث فيه علم به
وقد تأول بعض من يدعي السنة وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث

فأما من ادعى السنة 100 فأراد إثبات القدر فقال إرادة الله جل وعز أحدث من تقديره تقديره سابق الإرادة

وأما بعض أهل البدع فزعموا أن الإرادة إنما هي خلق حادث وليست بمخلوقة ولكن الله جل وعز بها كون المخلوق فزعمت أن الخلق غير المخلوق وأن الخلق هو الإرادة وأنها ليست بصفة الله من نفسه وجل الله أن يكون شيء حدث لغير إرادة منه وجل عن البداءات وتقلب الإرادات

فأما قوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله فإنه وعدهم الدخول على علم أنهم يدخلون

وأما قوله إذا أردناه أن نقول له كن فيكون

وقوله وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها

فإنه لم يزل يريد قبل أن يحدث الشيء أن يحدثه في وقت إحداثه فلم يزل يريد إحداثه في الوقت المؤخر فإذا جاء الوقت فهو أيضا يريد أن يحدثه فيه فبإرادته أحدثه في ذلك الوقت الذي فيه أحدثه

فإرادة الله جل وعز دائمة لأنه مريد قبل الوقت الذي يحدث فيه المخلوقات وفي الوقت الذي أحدثه فيه فأراد بقوله جل وعز إذا أردناه إذا جاء الوقت الذي فيه وهو له قبل الوقت مريد فأوقع إذا على الإرادة وإنما أراد الوقت وهو مريد له أيضا في الوقت والعرب تفعل هذا في مخاطباتها يقول الرجل لآخر متى تريد أن آتيك فيقول غدا فيسأله في ظاهر المسألة عن وقت إرادته وإنما يريد الوقت الذي فيه المجيء ويجيبه بالوقت الذي يجيء فيه ولو أجابه على ظاهر مسألته إذا قال متى تريد أجيئك لقال الساعة أريد أن تجيئني غدا فأجابه عن وقت المجيء وإنما سأله في الظاهر عن وقت الإرادة وهو يريد وقت المجيء فأجابه عن معنى السؤال ولم يجبه عن ظاهر المسألة

وكذلك إذا أراد الله جل وعز وقت كون الشيء وأنزل ظاهر القول على الإرادة فقال جل من قائل وإذا أردنا أن نهلك قرية يعني الوقت الذي أردنا من قبل إذا جاء الوقت أهلكناها فيه فإنما أراد بقوله إذا أردنا إذا كان الوقت الذي أردنا أن نهلكهم فيه لا على البدء منه بإرادة أخرى وأراد تكوين الشيء إلى وقت معلوم لم يزل يريد أن يكونه فيه فلم يزل مريدا الهلاك للقرى في الأوقات التي يهلكها فيها فإذا أهلكها فبإرادة متقدمة منه بهلاكها في تلك الأوقات التي أخر هلاكها إليها وبإرادة لم تزل أخر هلاك القرى إلى الوقت الذي لم يزل يريد أن يهلكها فيه

السمع والبصر

وكذلك قوله عز وجل إنا معكم مستمعون ليس معناه إحداث سمع ولا تكلف لسمع ما يكون من المتكلم في وقت كلامه وإنما معنى إنا معكم مستمعون وسيرى الله عملكم أي المسموع والمبصر لن يخفى

على سمعي ولا على بصري أن أدركه سمعا وبصرا لا بالحوادث في الله جل وعز وتعالى عن ذلك وكذلك قوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله لا يستحدث بصرا ولا لحظا محدثا في ذاته تعالى عن ذلك

وقد ذهب قوم أن لله جل وعز استماعا حادثا في ذاته فذهب إلى ما يعقل من الخلق أنه يحدث فيهم علة لسمع ما يكون من قول عند سمعه للقول لأن المخلوق إذا سمع الشيء حدث له عنه فهم عما أدركته أذنه من الصوت وكذلك ذهب إلى أن رؤية تحدث له

قال أبو عبد الله وهذا خطأ وإنما معنى سيرى و إنا معكم مستمعون أن المسموع والمبصر لم يخف على عيني ولا على سمعي أن أدركه سمعا وبصرا لا بالحوادث في الله جل وعز ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع وإبصار مع حدوث المبصر فقد ادعى على الله عز وجل ما لم يقل وإنما على العباد التسليم كما قال وأنه عالم سميع بصير ولا

يريد ما لم يكن وإنما معنى حتى يعلم حتى يكون المعلوم وكذلك حتى يكون المبصر والمسموع ولا يخفى على الله عز وجل أن يعلمه موجودا ويراه موجودا ويسمعه موجودا بغير 101 حدوث علم في الله جل وعز ولا سمع ولا بصر ولا يعني حدوثا في ذات الله جل الله عن الحوادث في نفسه وتعالى عن البداوات في علمه وإرادته علوا كبيرا

العلو

وكذلك قوله جل وعز وهو القاهر فوق عباده وقوله الرحمن على العرش استوى وقال أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض وقال إليه يصعد الكلم الطيب وقال يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره الآية وقال تعرج الملائكة والروح الآية وقال لعيسى

عليه السلام إني متوفيك ورافعك إلي وقال بل رفعه الله إليه وقال فالذين عند ربك يسبحون له

وذكر آلهة لو كانوا لابتغوا إلى طلبه سبيلا حيث هو فقال قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا وقال سبح اسم ربك الأعلى فلن ينسخ ذلك أبدا فإذا تلوت ما يكون كأنه نسخ أو خلاف الظاهر فاعلم أن ذلك ليس بنسخ ولا بمضاد لهذا وذلك كقوله وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وقوله وهن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم الآية وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الآية فليس بناسخ ولا ذلك ناسخ لهذا ولا هذا ضد ذلك ولكن معنى ذلك غير معنى هذا

هذه الآية معناها أن الله جل وعز لم يرد الكون بذاته

في أسفل الأشياء وينتقل فيها لانتقالها وينهض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها

جل مولانا وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
وقد ادعى بعض أهل الضلال فزعموا أن الله جل وعز في كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرق بين ذلك عندهم ثم أجابوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليهم في قولهم ما نفوا لأن كل من أثبت شيئا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه وقد تدين لما يلزمه في المعنى بما نفى كالنصارى زعمت أنهم يعبدون ثلاثة وأن ذلك ليس بشرك وأن معنى الثلاثة معنى واحد فلم يغن عنهم نفيهم الشرك بقولهم وقد دانوا به في المعنى وكذلك جميع أهل الضلال ينفون الكفر ويتبرؤون منه وهم كافرون
كذلك جميع أهل البدع ينفون البدع بقولهم ويتبرؤون

منها وقد خالفوا ما دانوا الله تبارك وتعالى بها وكذلك هؤلاء في نفيهم بعد تثبيتهم معنى ما نفوا فاحتجوا بهذه الآية أن الله عز وجل في كل شيء بنفسه كائنا ثم نفوا معنى ما ثبتوا فقالوا لا كالشيء في الشيء فأحالوا لأن ما كان في الأشياء فهو كالشيء وإن نفوه بألسنتهم
قلت فبين لي معن ذلك كله قال أما معنى قوله تعالى يعلم وسيرى الله وإنا معكم مستمعون فإنما معناه حتى يكون الموجود فنعلمه موجودا ونسمعه مسموعا وتبصره مبصرا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر وأما قوله إذا أردناه فمعناه إذا جاء وقت كون المراد فيه
وأما قوله على العرش استوى وهو القاهر فوق عباده وأأمنتم من في السماء وإذا لابتغوا إلى ذي العرش فهذه وغيرها مثل قوله إليه يصعد الكلم وقوله ثم يعرج إليه في يوم فهذا

مقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده لأنه قال أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض يعني فوق العرش والعرش على السماء لأن من كان فوق شيء على السماء فهو في السماء وقد قال مثل ذلك فسيحوا في الأرض يعني على الأرض لا

يريد الدخول 102 في جوفها وكذلك قوله لأصلبنكم في جذوع النخل يعني فوقها وقال أأمنتم من في السماء ثم فصل فقال أن يخسف بكم الأرض ولم يصله بمعنى فيشتبه ذلك فلم يكن لذلك معنى إذ فصل بقوله في السماء ثم استأنف التخويف بالخسف إلا أنه على العرش فوق السماء وقال يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم الآية وقال تعرج الملائكة والروح إليه

فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال إليه يصعد الكلم الطيب

وقال ثم يعرج إليه ثم قال في يوم كان مقداره مقدار صعودها وفصله من قوله إليه كقول القائل صعدت إلى فلان في يوم أو في ليلة وإن صعودك إليه في يوم فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله جل وعز وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه فإنهم قد صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو الذي لله عز وجل فوقه

وقال إليه يصعد الكلم الطيب

وكلام الملائكة أكثر وأطيب من كلام الآدميين فلم يقل ينزل إليه الكلم الطيب

وقال عن عيسى بل رفعه الله إليه ولم يقل عنده وقال عن فرعون لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات

فأطلع إليه موسى ثم استأنف فقال وإني لأظنه كاذبا فيما قال لي إنه في السماء فطلبه حيث قال له موسى مع الظن منه بموسى عليه السلام انه كاذب ولو أن موسى عليه السلام أخبره أنه في كل مكان بذاته لطلبه في الأرض أو في بيته وبدنه ولم يتعز ببنيان الصرح

وأما الآيات الأخر التي نزعوا بها فقد أبان الله جل وعز في تلاوتها أنه لا يريد أنه كائن في الأشياء بنفسه إذ وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به كونه فوق عرشه فقال عز وجل ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض فبدأ بالعلم وأخبر أنه مع كل

مناج حيث وجد وختم الآية بالعلم وقال إن الله بكل شيء عليم فبدأ بالعلم وختم بالعلم فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث ما كانوا لا يخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم تفردوا أو اجتمعوا
ولو اجتمع قوم في السفل وناظر إليهم في العلو ويسمع كلامهم فقال إني لم أزل معكم أراكم وأعلم

مناجاتكم كان صادقا ولله المثل الأعلى عن شبه الخلق
وقد روى ابن مسعود ما يدل على ذلك فقال اجتمع ثلاثة نفر عند الكعبة فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول فقال بعضهم إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم الآية فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا هذا دعوى خرجوا من قولهم في ظاهر التلاوة لأن موضع الاثنين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك وأقل من ذلك الواحد فهو معهم لا فيهم وما كان مع الشيء فقد خلا جسمه منه وبان كل واحد منهما بنفسه عن الآخر وهذا خروج عن قولهم لأن عندهم لا يخلو من الله سبحانه شيء أن يكون فيه بنفسه فقد تركوا قولهم على ظاهر التلاوة لأن الله تعالى قال معهم ولم يقل فيهم

وكذلك قوله عز وجل ونحن أقرب إليه من حبل الوريد فقد بين ما أراد بذلك فقال ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به بنفسه ثم قال ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي بعلمه فتكون الإحاطة بالعلم أقرب من عرق قلبه المتصل بقلبه فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة فإن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء وأقرب ما يكون منه أن يلازمه ولم يقل عز وجل إني فيكم ولا إني في حبل الوريد ولا أني أقرب فيكم من حبل الوريد لأنه لو كان في حبل الوريد صار حبل الوريد أقرب إلينا لأن ما كان فيه شيء فقد 103 حواه وآخر حواه وهو دونه كالرجل يكون في بيت دار فجدار البيت أقرب إلى الدار ممن هو في البيت ولو كان ذلك كذلك لكان آخر حبل الوريد أقرب إلى قلوبنا منه ومحال أن يكون ما في الوريد أقرب إلى الجسم من

حبل الوريد وإنما يكون أقرب إلى الجسم من حبل الوريد إذا لم يكن في حبل الوريد وكان خارجا

منه أو كان بعضه في حبل الوريد وبعضه خارجا منه إلى الجسم فذلك التبعيض ففي ظاهر التلاوة على دعواهم ما يدل أنه ليس في حبل الوريد كله وإنما يدل على أنه إما خارج منه أو بعضه خارج منه وكذلك قوله في السماء إله وفي الأرض إله فلم يقل في السماء ثم قطع كما قال أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فقال في السماء إله فأخبر أنه إله أهل السماء وإله أهل الأرض

وذلك موجود في اللغة إذ يقول القائل من بخراسان فيقال ابن طاهر وإنما هو في موضع فجايز أن يقال ابن طاهر أمير في خراسان فيكون أميرا في بلخ وسمرقند وكل مدنها هذا وإنما هو في موضع واحد يخفى عليه ما وراء بيته ولو كان على ظاهر اللفظ وفي معنى الكون ما جاز أن يقال أمير في البلد

الذي هو فيه لأنه في موضع واحد من بيته أو حيث كان إنما هو في موضع جلوسه وليس هو في داره أمير ولا في بيته كله وإنما هو في موضع منه لو كان معنى هذا معنى الكون فكيف العالي فوق كل شيء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله أهل السماء وإله أهل الأرض لا إله فيهما سواه فهو فيهما إله إذ كان مدبرا لهما وما فيهما وهو على عرشه فوق كل شيء باق

الحشوية والنسخ في الأخبار

وأما الأخبار فقد قال بعض الروافض إن الله عز وجل ينسخ أخباره وقال قوم من أهل السنة بنسخ الأخبار لا على التعمد منهم ولكن عن الإغفال والسهو عن الفحص عن معنى ذلك فقال الكلبي إنه لما نزلت إنكم وما تعبدون من

دون الله حصب جهنم نسخها بقوله إن اللذين سبقت لهم منا الحسنى ومعنى ذلك لو كان نسخها أن الله عز وجل قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنه أراد به أن يعذب عزيرا والملائكة والمسيح فأوجب عليهم العذاب ثم نسخ ذلك بعدما أوجبه كما أوجب قيام الليل ثم نسخه وكما أوجب تقديم الصدقة قبل نجوى النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخها وكما أوجب الصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخه ومعاذ الله أن يكون الله عز وجل أراد وأحب تعذيب أوليائه من الملائكة ولا المسيح ولا عزير وقد تقدمت فيهم أخبار من الله جل وعز بالولاية قبل أن ينزل آية العذاب في الآلهة فلما أنزل آية العذاب لم يرد بها من تقدم منه القول بولايتهم وإنما أراد من عبدوا سوى أوليائه وكان خبرا خاصا لا عاما كما قال الله جل وعز إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ولم يرد الكافرين إذ لم يتوبوا لأنه قد تقدم فيهم أخبار أنه لا يغفر لهم إن لم يتوبوا

وقال الكلبي ومتبعوه أيضا قوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض نسخ ذلك بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك

ولو كان كما زعم لكان قوله ويستغفرون لمن في الأرض خبرا منه أنهم يستغفرون لأهل الأرض كلهم من تاب منهم ومن لم يتب ثم رجع فقال إنما استغفروا للذين تابوا وليس كذلك ولكنه أخبر أولا بخبر كان ظاهره على العموم وهو خصوص ولم يرد أولا في خبره أنهم استغفروا لأهل الأرض كلهم ثم رجع فأخبر أنهم إنما استغفروا للتائبين دون غيرهم هم لم يستغفروا قط إلا للتائبين ولم يرد بخبره عنهم إلا التائبين ولكنه أخبر أولا وكان ظاهر خبره على العموم

وإنما أراد بقوله لمن في الأرض من التائبين ثم بين في الخبر الثاني من أراد لأن الله عز وجل لا جائز أن ينسخ الاستغفار للكافرين وقد أخبر أنه قال لا يغفر لهم أبدا فيكون قد أمرهم أن يستغفروا للكافرين ثم

نسخه بنهيه لهم فيدعوا الاستغفار لجميع الناس دون أن يستغفروا للمؤمنين بعد ذلك لأنه عز وجل يقول ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولا يقدمون بين يدي الله ما لم يؤمروا به فيخالفوا محبة مولاهم فيسألوه أن يغفر للكافرين مع المؤمنين وقد أوجب ألا يغفر لهم أبدا وهو يخبر بأنهم لا يشفعون إلا لمن رضي شفاعتهم له ويمدحهم بذلك

فإن احتج محتج بأن إبراهيم عليه السلام قد استغفر لأبيه ومحمدا صلى الله عليه وسلم لعمه حتى نهي فذلك إنما كان ابتلاء من محمد صلى الله عليه وسلم حتى نهاه الله عز وجل لا أن الله تبارك وتعالى أمره أن يستغفر للمشركين ثم نسخه والملائكة لا جائز أن تبتدئ بما لم تؤمر به لأنه عز من قائل يقول ولا يشفعون إلا لمن ارتضى

فالناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكونا إلا في الأحكام في الأمر والنهي والحدود والعقوبات في أحكام الدنيا

ولا يكون ذلك بداوات من الله عز وجل ولا استفادة علم ولا رجوعا عن صدق بنسخ خبر ولا ابتداء بكذب ثم رجوعا إلى صدق جل وتعالى عن ذلك

ولكنه أمر بأمر وحكم بحكم وهو يريد أن يوجه إلى وقت ويريد أن يأمر بتركه بعد ذلك الوقت لم يزل مريدا للفعل الأول إلى الوقت الذي أراد نسخه وإيجاد بدله إلا من المأمور به والحكم به وكلاهما لم يزل يريدهما ولم يبدله في الثاني ببدو ولا بنسخ أمره ولكنه ينسخ المأمور به بمأمور به آخر وكلامها وقع التبديل على المأمور به بمأمور به آخر وكلاهما كلامه لا رجوعا عن قوله الأول أنه لم يكن حقا وصدقا منه وحكمة وصلاحا لعباده يستخرج منهما التسليم لأمره في وقت يكون ذلك منهما ويكون من إبراهيم القصد منه لحديدة يذبح بها ابنه وإضجاعه ووضع السكين على حلقه بالصبر والتسليم لأمره ويكون من إسحق بالطوع لأبيه ابتغاء مرضاة الله ربه بالتسليم لأمره ويكون من الكبش بدله وكلاهما مراد له لم يزل في

وقتين مختلفين فأراد أن يضجعه ويقصد بحديدة لذبحه ويكون التسليم منهما ويأمره بالكبش فيذبحه ولو أراد الله ذبح ابنه لذبحه لا محالة لأنه تعالى لا يريد شيئا إلا تم ولو أراد ذبح ابنه لذبحه لا محالة ولأخبره أنه ذابحه لا محالة لأنه لا يخبر بشيء أنه كائن ثم لا يكون ولا يجوز أن يخبر أنه يكون إلا كان

كما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يصفحوا عن المشركين ولا يقاتلوهم ويصبروا على أذاهم وهو يريد أن يصفحوا عنهم إلى أن يقوى الإسلام ويهاجروا إلى المدينة وهو يريد إذا هاجروا وقوي المسلمون أن يأمرهم بالقتال وكلاهما لم يزالا مرادا له

أراد أن يوجب هذا إلى وقت ثم يوجب الآخر بدلا منه ويأمر بترك الأول كما أمرهم بالصلاة إلى بيت المقدس ثم أمرهم أن يتحولوا إلى الكعبة وذلك كثير في أحكامه أبدل أحدهما بدلا من الآخر في وقتين مختلفين وكلاهما كان مريدا له

هذا يريد أن يأمر به إلى وقت وهذا يريد أن يأمر به بدلا منه بعد تقضي الوقت ويأمر بترك الأول من غير بدء ولا جهل

وكذلك كل حكم نسخه حكم آخر فإنما جعل الثاني بدلا من الأول وذلك موجود بين العباد على تقدم الإرادة منهم فيما أمروا به أولا ثم نهوا عنه وأمروا بغيره من غير بدء ولا جهل وذلك كان يأمر الرجل غلامه ليعمل في أرضه وهو يريد أن يعمل فيها وقت الزراعة ثم يصرفه بعد ذك إلى خدمته في منزله وكلاهما قد تقدمت به الإرادة منه ويأمره أن يخرج معه إلى قريته وهو يريد إذا بلغ القرية أن يأمره بالرجوع إلى أهله يقوم بحوائجهم ويكتفي هو بخدمة نفسه في قريته أو يريد أن يرده إلى قريته أو مدينته إلى عمل يعمله له من بناء أو عمل يكسب به أو غير ذلك لربما قال له إعمل كذا وكذا إلى الظهر أو إلى رأس الشهر وإذا انسلخ 105 الشهر فدع العمل واعمل كذا وكذا لعمل آخر فتقدم منه الأمر

بالعملين جميعا في وقتين مختلفين أو يأمره بأحد العملين في وقت وهو كذلك يريد أن

يأمره بالعمل الآخر بعد انقضاء الثاني فيكون الآخر بدلا من الأول يبدأ بأحدهما إلى الوقت وقد أمره أن يدعه إذا جاء الوقت ويعمل الآخر بدلا من الأول من غير بدء منه ولا كذب ولا جهل فكيف بالإله الواحد القهار الذي يعلم عواقب الأمور كلها ولا تبدو له البداوات ولا تحل به الحوادث ولا تعتقبه الزيادة والنقصان

القول بخلق القرآن

ولقد جامعنا قوم من أهل الضلال على ذلك لئلا يقع النسخ من الله عز وجل في أخباره ومدحه وإنما يقع النسخ في أحكامه ثم جهلوا إذ أرادوا أن يقووا قولهم بأن كلام الله مخلوق فزعموا أن الله عز وجل قد ينسخ كلامه بكلامه فيما أمر به ونهى

عنه وكان مما استدلوا به أنه كلام مخلوق أنه ينسخ بعضه ببعض

قالوا ولو لم يكن مخلوقا ما جاز عليه النسخ ولا التبديل

وقد جهلوا المعنى وجاروا عن الحق لأن الله جل وعز لم ينسخ كلامه بكلامه وإنما ينسخ مأمورا به بمأمور به فأبدل أحدهما مكان الآخر وكلاهما كلامه وإنما ينسخ كلامه الأول بكلام منه ثان الكاذب الراجع عما قال فأما إذا كانا جميعا منه فهما حق وصدق فإنما أمرهم بمأمور أوجبه ثم رفعه وبدله بمأمور آخر ألزمهم القيام به وكلاهما كلامه أوجبهما في وقتين مختلفين فالله جل وعز لم يأمر العباد أن يفعلوا كلامه ثم يأمرهم أن يفعلوا كلاما له ثانيا بدلا من الأول وإنما أمرهم بعمل يعملونه ثم بدل لهم عملا آخر ألزمهم إياه ونسخ الأول وجعل الثاني مبدولا به ألم تسمع الله عز وجل يقول لا مبدل لكلماته

وقال يريدون أن يبدلوا كلام الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم لن تخرجوا معي أبدا ولم يقل إن الله حرم عليكم الخروج معي ولم يقل أبدا فيكونوا إذا أرادوا الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يعصوا الله ولا يكونوا مبدلين كلام الله ولكن الله جل وعز أمر نبيه أن يخبرهم أنهم لا يخرجون معه أبدا أبدا ولا جائز أن يخرجوا معه أبدا لأن هذا القول من الله عز وجل خبر منه أنه لا يدعهم يخرجون مع نبيه عليه السلام أبدا ولا يأذن

لهم في ذلك فلو خرجوا كان ذلك تكذيبا لخبر الله جل وعز ولو أذن لهم الله لكان هذا تبديلا لكلامه الأول وكان هذا كذبا وجل ربنا وتعالى عن ذلك فلما سألوا النبي عليه السلام أن يخرجوا معه وكان في خروجهم تكذيب خبر الله وتبديل لكلامه قال الله جل ثناؤه لنبيه عليه السلام لما سألوا أن يخرجوا معه يريدون أن يبدلوا كلام الله فدل الله عز وجل بذلك أن في

تبديل كلام الله إيجاب الكذب والله جل وعز لا يبدل كلامه ولا ينسخ قوله وإنما ينسخ فرضه ويبدله بفرض غيره وكلاهما كلامه

ألا ترى أن كل ما ينسخ ويبدل فلا يجوز فعله كالصلاة إلى بيت المقدس وبعضه لا يجوز فعله على الإيجاب له كقيام الليل وغيره وكذلك الوصية للوالدين ولمن يرث لا يجوز أن ينفذ الوصية لهم

والكلام الذي نهاهم به أولا كلام له واجب على العباد أن يؤمنوا به أنه حق وأنه من القرآن من كفر به فهو كافر ومن آمن به فهو مؤمن وأن عليهم ألا يخرجوا جميعا من حفظه حتى يكون بعضهم يحفظه ولا يجوز له أن يسقط من القرآن فلا يقرأ ولا يتلى وأنما سقط فرض الآية وثبت نصها والنص حق وصدق وإنما بطل الفرض ولم يبطل النص وإنما سقطت الوصية أن ينفذ فتجوز فسقط وجوب الفرض من الآية وثبت نصها أن تجب الوصية للوالدين ونحوها ولم يسقط كلامه بذلك أنه حق

وصدق وأنه ليس بين الآية الناسخة للمأمور به وبين الآية التي نسخ منها المأمور به فرقان في الايمان بهما والكفر بهما وأنهما جميعا حق وصدق وإنما افترق الحكمان بهما

فمن زعم أن الحكم 106 المنسوخ واجب بعد علم فقد كفر وأن الثاني المبدل به ليس بواجب فقد كفر فجائز أن يقال قد أبطل الله الصلاة إلى بيت المقدس ولا يقال قد أبطل الله قوله فيكون كلام الله باطلا

فالكلام الذي نسخ به حق والكلام المنسوخ الحكم منه حق فيقال قد أبطل الله جل وعز وجوب الوصية وأبطل الله الصلاة إلى بيت المقدس أن يكون واجبا الآن وأبطل قيام الليل أن

يكون واجبا
ولا يقول مؤمن قد أبطل عز وجل الآيات التي كانت هذه الأحكام كلها فيها واجبات فيكون كلاما باطلا فالكلام الذي نسخ منه الحكم والكلام الذي ثبت به الحكم الثاني كلام الله حق وصدق لا باطل ولا كذب وأحد الحكمين ساقط ومن دان به بعد علم

فقد دان بالضلال والباطل أن يكون واجبا على عباد الله
وكان مما احتجوا علينا به في ذلك قول الله جل من قائل ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها
فقالوا ما جاز أن يكون بعضه خيرا من بعض فهو مخلوق لأنه إذا كان شيء هو خير من شيء فقد فضله والآخر منقوص وقال أو مثلها قالوا وما كان له مثل فهو مخلوق لأن المثل يشتبه بمثله وما جاز أن يأتي به الله جل وعز فيحدثه فهو مخلوق وكل مخلوق فمثله مخلوق لأن حكم المثل حكم مثله
وجهلوا التأويل إنما قوله جل وعز نأت بخير منها بخير بمأمور به هو أوسع لكم وأخف عليكم أو مثله في الخفة والسعة وكذلك قوله عز وجل من جاء بالحسنة فله خير منها لا يعني خيرا من التوحيد

وإنما يعني له منها خير كما يقال الدراهم خير من المال لا يريد أفضل من المال وإنما يريد الدراهم من المال خير فإن قالوا بظاهر التلاوة فقد جامعونا أن الله جل وعز عندما أمر بالوصية للوالدين أمر بمأمور به أوسع من الأول وجامعونا أن الله جل وعز لما أمر بالمال لورثة معلومين فالمأمور به الآخر أوسع وما نسخ الله جل وعز من تقدمه النجوى بين يدي كلامهم لرسوله عليه السلام وما نسخ من قيام الليل ونحو ذلك
ومما يدل على بطلان قولهم أن قائلا لو قال ترك قيام الليل أن يكون علينا واجبا هو أرفق بنا وأوسع لنا من قبل اتساعه لنا كان صادقا ولو قال إن قوله فاقرؤوا ما تيسر منه خير من قوله يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا فأراد أن الكلام الآخر من الله جل ذكره خير وأفضل

والكلام الأول أنقص وأدنى كان كافرا بالله عز وجل إذ ازدرى كلام الله وزعم أنه منقوص دني

القسم الخامس

مع المعتزلة دفاع والزامات

دفاع عن أهل السنة

دعوى المعتزلة

وقد ادعى علينا بعض أهل البدع من المعتزلة أنا نزعم أن الله عز وجل ينسخ أخباره وصفاته فقالوا إن الله عز وجل أخبر أنه يعذب القاتل والزاني وشارب الخمر وآكل مال اليتيم ظلما ولم يستثن منهم أحدا فزعمتم أنه جائز أن يغفر الله لبعض أهل الكبائر وأنه لا يغفر لبعضهم

وقال بعضهم إنه يغفر لهم كلهم

وأخبر أن الفجار لا يغيبون عن النار فزعمتم أن الله جل ذكره يخرج قوما من الفجار المقرين بعدما احترقوا ويدخلهم الجنة

وزعم بعضكم أن الله عز وجل يخرج كل فاجر مقر قاتل كان أو زان أو سارق أو من أتى بأعظم الذنوب إلا بالكفر بالله جل ثناؤه

وزعمتم أن الله جل وعز نسخ خبره وأخلف وعيده وأكذب قوله في بعض ما أخبر أنه معذبه وبعض من أخبر أنه مخلد في النار وهذا تكذيب وخلف من القول

وكذلك قالوا في الصفات قالوا زعمتم أن الله جل وعز امتدح بأن الأبصار لا تدركه ثم زعمتم أن هذه المدحة تبدل في الآخرة فتراه العيون وهذا نسخ المدح لأنه أمتدح بأن الأبصار لا تدركه ولم يستثن في الدنيا فزعمتم أنها تدركه في الآخرة نظرا

قالوا ولو جاز أن يغفر الله لأهل الكبائر بعد ما قال إني معذبهم وإن جزاءهم النار لجاز أن يغفر لأهل الكفر لأنه كذلك قال إني أعذبهم وإن جزاءهم النار ولو جاز أن تراه الأبصار بعدما نفى الرؤية لجاز في قوله وهو يطعم ولا يطعم أن يطعم في الآخرة ولا يطعم 107 في

الدنيا
وكذلك قوله لا تأخذه سنة ولا نوم لجاز أن

تأخذه السنة والنوم في الآخرة وقوله لا يخفى عليه شيء أنه يخفى عليه في الآخرة لا فرقان بين ذلك زعموا

في الوعد والوعيد

وقال أبو عبد الله رحمه الله وقد أبعدوا القياس وادعوا علينا ما لم نقله معاذ الله أن نقول إن أخبار الله ومدحه تنسخ وهو الصادق في كل حال والكامل لم يزل ولا يزول ولكنا نقول إن الله جل ذكره أخبارا عامة وإن اتفق ظاهر تلاوتها في العموم فهو مختلف في معاني الخصوص والعموم

فأما ما ادعوا علينا في الوعيد فهذه دعوى باطل ولكن الله جل وعز أوجب لآكل مال اليتيم والزاني والسارق وشارب الخمر والقاتل وهو يريد أن ذلك عليهم أجمعين واجب وأنهم له مستحقون ولم يرد أن يعذبهم أجمعين ولو أراد أن يعذبهم أجمعين فإن أراد أن يعذب بعض من استوجب فيعذبه بعدله

ويغفو عن بعض من وجب عليه فيعفو عنه بفضل رحمته لزلاته يقول إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

فأخبر أنه لا مشيئة له في مغفرة أحد من المشركين وله المشيئة فيما دون الشرك بالمغفرة عمن يشاء منهم فأخبر أنه لم يرد أن يعذبهم كلهم وأن يغفر لبعض من يشاء منهم

وأخبر أنهم جميعا مستحقون للعذاب وأن له مشيئة في بعض من استحق منهم العذاب الذي وجب عليهم في حكمه ولم يعلمنا من يغفر له فقطعنا بما قطع وأيسنا من عفوه عمن آيسنا منهم من المغفرة للمشركين وأوقفنا ما أوقف من عذاب المستحقين من المؤمنين إلا أنا نعلم أنه سيعذب بعضهم ولا يكذب قوله لأنه أخبر أنه يعذب وأن له مشيئة

فيهم فيمن يشاء منهم أن يغفر له
فكان ما أخبر الله جل وعز به من عذاب الموحدين

خصوصا لا عموما إذ أخبر أنه يغفر لمن يشاء منهم وأن خبره أنهم مستوجبون عموم
وإذا أخبر أنه له مشيئة فيمكن مشيئته فيمن استوجب العذاب منهم
وأما ما ادعوا به علينا فزعموا أنه يلزمنا أن نشك في عذاب الكفار فلا ندري يغفر لبعضهم
لأنه قال لليهود والنصارى بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
فقالوا قد استثنى في هاتين الآيتين كما استثنى فيما دون الشرك فإنه يقال لهم أبعدتم في القياس والتمييز إن الله جل وعز لم يقل لليهود والنصارى بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء منكم فيكون قد استثنى بعضهم فيلزمنا ذلك فلو قال ذلك كان يلزمنا كما قلتم
وكذلك قوله عز وجل يغفر لمن يشاء عموم لم يخص قوما بأعيانهم فقد عرفنا من يشاء مغفرته بعد عموم هذا الخبر بأخبار خاصة ولولا الأخبار الخاصة

بعد ذلك لكان علينا أن نقف حتى نعلم من يشاء عذابه فلما أخبرنا أنه لا يغفر لمن أشرك قطعنا بذلك
وأخبرنا أنه يغفر لمن يشاء ممن تاب قال تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
فقطعنا بذلك وعلمنا أنه قد شاء عذاب الكافرين وشاء مغفرة التائبين ولما أرخى كذا مغفرته من يشاء من المصرين من الموحدين وقفنا ولم نقطع وعلمنا أنه يشاء أن يغفر لبعضهم وأنه يعذب بعضهم إذ أخبر أنه سيعذبهم إلا من يشاء مغفرته منهم فجعل مشيئته في مغفرة بعضهم خصوصا والآخرون معذبون بقوله أعذب وأغفر لمن شئت منهم فعلمنا أن من يشاء الله من خلقه بعد قوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء أن يعذبهم وأن يغفر لهم ولم نعلم من يغفر له من المصرين من الموحدين

ولا من يعذب منهم إلا أنه سيعذب بعضهم ويغفر لمن يشاء منهم
وأما قولهم لا يخلو من ثلاث خلال
إما أن يكون قال أعذبهم وهو يعلم أنه سيعذبهم
أو كان لا يعلم من يعذبه منهم
أو كان يعلم أنه يعذبهم
فالشك في علم عذابهم كفر
وقوله أعذبهم وهو يعلم 108 أنه لا يعذبهم كذب
فقد جامعناهم على ذلك إلا الفصل الأول وهو قولهم إنه قال ذلك وهو يعلم أنه يعذبهم
فجوابنا أنه قال ذلك وهو يعلم أنه سيعذب بعضهم ويعفو عمن شاء أن يعفو عنه وكذلك استثنى لما علم ولا يلحقه في ذلك شك ولا كذب ولا خلف والآية في الاستثناء من شاء أن يغفر له من الموحدين لا يخلو من أن تكون الآية من أولها إلى آخرها في المصرين أو في التائبين أو هي مخصصة أولها وآخرها في التائبين

فهذا لا يقوله أحد أنه من تاب من الشرك لم يغفر له ومن تاب من الذنوب غفر لمن شاء منهم وإن كانت في المصريين فهذا عندنا هو الحق لأن الله جل ذكره لا يغفر لمن مات مصرا على الشرك ويغفر لمن يشاء ممن مات مصرا على الذنوب مع التوحيد وإن كان أولها في بعض دون بعض فهذا على معاني شتى وآخرها في التائبين فهذا التحكم في الدعوى لأنهم جامعونا على أن أولها في المصرين وقولهم إن أولها في المصرين على ما ابتدأها الله عز وجل أو يأتوا ببرهان على قولهم
وقولهم إن آخرها في التائبين فلو كان كذلك لم يكن التائبون مغفورا لهم أجمعين إنما الغفران أن يغفر لبعضهم لمن شاء منهم لأن الله جل ثناؤه استثنى خصوصا ولم يعم وقد عمتها الأخبار عنه أنه يغفر للتائبين جميعا ولم يخص أحدا منهم بالمغفرة دون أحد كما خص فيما دون الشرك أنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فإن أبوا في آيات الوعيد إلا ظاهر التلاوة أن الله عز وجل أخبر أنه معذب جميع من فعل ذلك

وكل من

فعله منهم فهو في ظاهر التلاوة معذب وأنه إنما استثنى في آية الاستثناء من يأتي دون غيرهم كذا وأنه من أخبر أنه معذبه من الموحدين فالخبر فيه عام ولم يرد بعضنا دون بعض فعليهم في الظاهر مثل ذلك إن كان أراد أن يعذب من قال إني أعذبه على العموم ولم يرد بعضا دون بعض فقد قال الله جل وعز ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وقال والله لا يحب الظالمين وقال إن الظالمين في عذاب مقيم وقال ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار

فكل من جاء بسيئة أو ظلم نفسه بذنب صغير ومات مصرا عليه أو عصى بذنب كبير وتاب منه فهو في النار لأنه لم يستثن في هذه الآي تائبا من مصر لا من كبيرة ولا من صغيرة فإن قالوا إنه لا يريد التائبين ولا المجتنبين للكبائر ولا النبيين قيل لهم تركتم ظاهر التلاوة

وكذلك قلنا نحن لم نرد من شاء أن يغفر له من أهل الكبائر والصغائر المصرين

وكذلك قوله عز وجل كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها إلى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وكل من دخل النار فقد كذب بما أنزل الله جل ثناؤه

وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فلن يدخل النار أبدا كذا على قول من حمل الآية على ظاهرها إلا من قال ما أنزل الله على بشر من شيء وكذب النذر وأنه لا يدخلها أحد من أهل الكبائر المقرين بالله ورسوله فإن قالوا ذلك ضادوا قولهم وكذبوا الله تعالى فيما سوى ذلك من الأخبار

وإن قالوا إنما أراد المكذبين خاصة قلنا لهم هذا أبين في العموم من الآيات الموجبات للموحدين على الذنوب النار لأنه قال كلما ألقي فيها فوج فعم كل فوج يلقى فيها وكذلك قوله لا يصلاها

إلا الأشقى الذي كذب وتولى وقد نفى أن يصلاها إلا من كذب وتولى وأوجب أن من صدق لا يدخلها وإن أتى بكل ذنب لأن الله عز وجل نفى أن يصلاها إلا من كذب وتولى

فإن قالوا إنما عنى به بابا من أبوابها دون غيره من الأبواب

قيل لهم فهذا على غير ظاهره كما قلتم في الآيات الموجبات لمن أذنب من أهل التوحيد وقد قال جل وعز من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وقال جل من قائل والله يحب المحسنين وقال 109 إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا

وأحسن الأعمال التوحيد

فإن قالوا أراد من اجتنب الكبائر من الموحدين

قيل لهم هذا غير ظاهر التلاوة فإن الله تعالى يقول إنما يتقبل الله من المتقين

قيل لهم فهذا عليكم لأن كل من اتقى الشرك فقد وقع عليه اسم المتقين كما من فجر فجرة فقد وقع عليه اسم الفاجرين فقد لزمكم القول بأن الله تعالى ينسخ أخباره لأنا نقول زعمتم في دعواكم علينا أن أخبار الله جل وعز تتناسخ لأنه يقول إن الظالمين لهم عذاب مقيم إنه لا يحب الظالمين فكل من عصى الله من النبيين والصديقين وأصحاب الأنبياء فقد ظلم نفسه

وقال موسى عليه السلام رب إني ظلمت نفسي وقال يونس عليه السلام إني كنت من الظالمين وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وقال الله جل وعز من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون

الله وليا ولا نصيرا ومن عصى الله فقد عمل سوءا لأن المعصية سوء كائنة ما كانت فإن قالوا لم يرد النبيين ولا التائبين ولا من اجتنب الكبائر

قيل لهم فلو عارضكم معارض فقال إنما أراد بقوله إلا من تاب من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم دون غيرهم لأن الآية عليهم أنزلت فهي لهم خاصة ما كنتم تردون عليه فإن قالوا أراد كل تائب قيل لهم يقول لكم كذلك أراد كل من أذنب ذنبا دون الشرك مصرا كان أو غيره ويقال لهم أرأيتم لو قال لكم قائل إن قوله إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إنما أراد به من اجتنبها فلم يعملها قط يريد من لم يكن له صبوة واحتج بظاهر التلاوة على الذي يحتجون عليه

فإن قالوا قد استثنى من تاب قيل لهم وكذلك قد استثنى ما دون الشرك من الذنوب فقد ذهبتم إلى ما خص دون ما عم

ولو قال لكم قائل بل إنما أراد به من لم يرتكب كبيرة قط فإن كانت منه كبيرة ثم تاب ثم لقيه بالصغائر مصرا عليها غفر له ما تاب منه من الكبائر كما قال تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأخذه بالصغائر لأنه إنما أراد أن يغفر الصغائر إذا لم يتب منها ممن اجتنب الكبائر فلم يأتها قط فمن قال بظاهر الآيتين أوجب المغفرة لمن لقيه مصرا عليها وهذا ظاهر الآيتين فإن قالوا أراد من اجتنب الكبائر بالتوبة ومن لم يكن له صغيرة قيل إن ظاهر الآية إنما هو على الاجتناب وهو ألا يكون أتاها قط فقد تركتم ظاهر التلاوة والعموم فإن كان من رجا لمن استثنى الله جل ذكره مشيئة مغفرته قال بتناسخ الأخبار فقد قلتم بتناسخ الأخبار وأنتم عبتم ترك ظاهر التلاوة في الآيات الموجبات على الكبائر لأهل التوحيد النار وتركتم ظاهر الآية في استثناء كل ما دون الشرك من الذنوب فزعمتم أنه أراد التائبين ممن أخطأ ممن قال بمثل ما عاب على غيره فقال

يغفر لبعضهم فقلتم يغفر لكلهم هو ظاهر الاستثناء لمن شاء فخص ولم يعم فاحكموا على أنفسكم أنكم تقولن بتناسخ الأخبار

وقد قال بعض الأمة بغير قولنا وقولكم قالوا إنما أراد بالوعيد على الكبائر المشركين ولم يرد المؤمنين لأن المؤمنين مغفور لهم لأنه يقول ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وقال عز وجل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وقال عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله

أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم
فكل من أقر فقد آمن
وقولكم إذا أتى كبيرة فليس بمؤمن دعوى منكم لا برهان لكم عليها وقد قالت الخوارج إنه إنما أراد به من أتى كبيرة فهو كافر فما دعواكم إلا كدعواهم أو ترجعون جميعا إلى قول أهل الحق فتقطعون بما قطع الله جل وعز من عذاب للجاحدين ومغفرة للتائبين

والوقوف عند من استثنى من الموحدين فيما دون الشرك وإلا كنتم مدعين مبطلين ونحن نسألكم عن معنى قولكم حتى نقرر كم بأن قولكم خلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة وإجماعكم معهم

إمتناع الخوف والرجاء

فنقول لكم أرأيتم يخلو العباد أجمعون من أن يكون لا ينفك أحد منهم أن يكون صاحب كبيرة أو صاحب صغيرة مجتنبا للكبائر فإن 110 قالوا لا قلنا فمن كان منهم صاحب كبيرة هل يجب عليه واجب أن يعلم أنه إن مات عليها ولم يتب أنه في النار لا محالة فإن قالوا كذلك يجب عليه قيل لهم هل يجب عليه أن يخاف الله عز وجل إن مات عليها أن يعذبه بعد موته فإن قالوا نعم قلنا إنما الخوف على الشك فأما من علم أنه معذب لا محالة فلا معنى لخوفه لأنه مستيقن بالعذاب لا شك فيه فكيف يكون خائفا أن يعذب وهو مستيقن بالعذاب إن مات على ذلك

ولو جاز له ذلك لجاز أن يقولوا إنا نخاف أن يعذب الله عز وجل فرعون وهامان قالوا لا يجوز ذلك لأنا مستيقنون بعذاب فرعون وهامان
وقيل يجوز أن يقولوا إن مات الكافر مصرا خفنا عليه العذاب فإن قالوا لا يجوز لأنا مستيقنون ذلك قيل لهم فكذلك صاحب الكبيرة لا يجوز أن يخاف الله عز وجل أن يعذبه عليها فيكون شاكا في وعيد الله عليها فيكفر
ويقال لهم هل يجوز أن يرجو أن يعفو الله عنه وهو مصر عليها ولم يتب بعد فإن قالوا لا لأن

رجاءه أن يعفو الله عنه ولم يتب شك في وعيد الله وصدقه ورجا أن يخلف وعده ويكذب قوله قيل لهم فالخوف والرجاء من صاحب الكبيرة ضلال إذن

ويقال لهم أرأيتم إن كان مجتنبا الكبائر هل يجوز أن يخافه قالوا نعم عليه أن يخاف الله قيل لهم يخاف الله أن يعذبه وهو وعده المغفرة والرضى والمدخل الكريم وهو الجنة

فإن قالوا لا يخاف أن يعذبه الله إذا لقيه بالصغائر مجتنبا للكبائر

قلنا فلو جوزتم له الخوف أن يعذبه الله وقد لقيه مجتنبا للكبائر لكان خوفه ضلالا لأن ذلك يوجب عليه الشك في وعد الله تعالى ولا يأمن أن يخلف وعده ويكذب قوله جل وعز عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ويقال لهم يجوز أن يرجوا أن يكفر الله عنه سيئاته ويدخله الجنة وهو مجتنب للكبائر والصغائر ولو اجتنب الكبائر والصغائر لكان مغفورا له فنسألكم كذا عنه ولو اجتنب الكبائر وأتى الصغائر أو كان مجتنبا للذنوب كلها هل يجوز له أن يرجو العفو والمغفرة من الله جل وعز

فإن قالوا لا يجب ذلك عليه فقد زعموا أنه لا ينبغي لأحد أن يرجو المغفرة من الله لأن صاحب الكبائر عندهم مؤيس من رحمة الله عز وجل وصاحب الصغائر ومن لم يأت شيئا من الذنوب موقن بمغفرة فلا ينبغي لأحد أن يخاف الله ولا يرجوه بزعمهم فإن قالوا

لا ينبغي له أن ييأس من الله قيل إن الرجاء عندكم لا يكون إلا على الشك لا على اليقين فكيف يجوز أن يرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة وقد وعده ذلك لئن جاز له ذلك ليجوزن لك أن ترجو الله أن يدخل رسله الجنة وأن يؤاخذهم بذنوب غيرهم ويرجو أن لا يعذبهم بكفر غيرهم من الكفار ويرجو أن لا يعذبكم على الكفر به وأنتم به مؤمنون ولو جاز ذلك لجاز أن يرجو أن يكونوا رجالا وأن يكونوا نساء وهذا كله غير جائز عندهم لأن الرجاء والخوف عندهم لا يكون إلا على الشك ولا يكون على اليقين فإن قالوا لا يجوز ذلك لأن الله جل ذكره أخبر أنه مدخل رسله الجنة وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأنه لا يجزى العباد إلا بما كسبوا ولا

يعذبهم بما لم يذنبوا

قيل لهم وكذلك المجتنب للكبائر لا يجوز له أن يرجو الله أن يغفر الله له وقد وعده ذلك بل يستيقن ذلك والموحدون لا يخلو أحد منهم من أن يكون مجتنبا

للكبائر أو مصرا على بعض الكبائر أو دون ذلك أو كلاهما فحرام عليهم على قولكم الرجاء والخوف فحرام على العباد كلهم بزعمكم الرجاء والخوف لأنه لا يخلو أحد منهم من أن يكون من إحدى المنزلتين وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع الأولين والآخرين

إمتناع العفو

وكذلك العفو في الآخرة لا يجوز أن يكون من الله جل ذكره على مذهبكم لأنه لا يلقى الله إلا صاحب كبيرة قد أوجب في الدنيا ألا يعفو عنه وذلك عندكم كفر إن اعتقده لأن الله جل ذكره قد آيسه من ذلك

أو صاحب صغيرة غير مصر 111 على كبيرة يعد مجتنبا للكبائر كلها فقد عفى عفا الله عنه في الدنيا وقد مات يوم مات وهو مغفور له من أهل الجنة فلا يحتاج إلى العفو والصفح عنه في القيامة وقد فعل ذلك به في الدنيا وهو في الدنيا يوم مات

لأنه قد لقي الله عز وجل ولا ذنب له تجب عليه به العقوبة في الآخرة وإنما العفو والصفح في الآخرة عمن لقيه وهو مستحق للعقوبة فصفح عنه تفضلا عليه وذلك عندكم كذب منه لو فعله فأما من لقيه ولا ذنب له يستوجب به العقوبة فلا يحتاج إلى العفو والله عز وجل لا يلقاه في القيامة كافر ولا موحد إلا صاحب كبيرة أو مجتنب لها والعفو في القيامة عن هذين ساقط فلا عفو لله جل ذكره في الآخرة على مذهبكم عن أحد

وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع القرون من الأولين والآخرين

امتناع شفاعة النبي

وكذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لا تجوز على قولكم في الآخرة لأن صاحب الكبيرة الله معذبه لا محالة ولا يستحل النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع فيه فيكون

يطلب إلى الله عز وجل أن يخلف قوله ويكذب وعيده على دعواكم

وكذلك المجتنب للكبائر يلقى الله وقد استوجب الإجارة من العذاب وقد غفر الله له وأخبره أنه مدخله الجنة وعدا عليه مؤكدا فلا يحتاج إلى الشفاعة إنما يحتاج إلى الشفاعة المستوجب للعذاب فأما من ضمن الله له المغفرة وأخبره أنه من أوليائه وأنه مدخله الجنة وأنه لا يعذبه فلا يحتاج إلى الشفاعة ولو جاز أن يشفع في هذا لجاز أن يشفع في إبراهيم عليه السلام ألا يعذب وفي موسى ويحيى وجميع رسله واختص محمدا بأفضل الصلاة والتسليم لأن الوعد من الله عز وجل للمجتنب للكبائر ولرسله أكبر درجات في الجنة وأعظم منزلة عند الله جل ذكره قد وعدهم جميعا ألا يعذبهم ويدخلهم الجنة وقد تولاهم أجمعين فلا شفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم في القيامة على قولكم وهذا رد للآثار المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والأمة كلها جاهلها وعالمها كلهم يرجون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز في قولكم لأحد في الدنيا أن يرجو شفاعة النبي عليه السلام ولا أن يسألها لأنه إن كان صاحب كبيرة

فعليه أن يعلم أن النبي عليه السلام لا يشفع إلى الله عز وجل فيه لأن في ذلك طلبا أن يكذب قوله ويرجع عن وعيده
وإن كان مجتنبا للكبائر لم يجز له ذلك لأن عليه أن يعلم أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة لا تجوز بزعمكم وحرام على أحد من العباد أن يرجوها أو يطلبها إلى الله عز وجل في قولكم
فإنما أنتم قوم غلطتم فجعلتم الخاص عاما والعام خاصا وادعيتم على من خالفكم أنه قد وصف الله جل وعز أن أخباره تتناسخ وقد دخلتم في مثل ما عبتم وجوزتم تعذيب الرسل عليهم السلام والتائبين لأنه وعد من عصاه النار ولم يستثن أحد إلا أن يقولوا إنه أخبر في آيات أخر أنه لا يعذب الرسل عليهم السلام ولا التائبين من المذنبين فيقال لكم وكذلك قد أخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من المذنبين وقد قلتم فيمن أوجب الله لهم العذاب

على الظلم إنه لم يرد الرسل عليهم السلام ولا التائبين

ولا أهل الصغائر وإن كانت الآية في ظاهر تلاوتها عامة فلم يعمهم إذ أخبر في آيات أخر أنه لا يعذبهم وكذلك قوله ما على المحسنين من سبيل وقوله إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا فلزمكم أن من أحسن من جميع الخلق ولو مثقال ذرة أن الله يدخله الجنة فقلتم إن الله قد أخبر أنه إنما يتقبل الله من المتقين فقيل لكم فمن اتقاه بأقل التقوى فقد دخل في العموم بالقول فإن قلتم إنما أراد التائبين قيل لكم وكذلك إنما أراد أن يعذب على الكبائر من يشاء أو يغفر له لأنه قد أخبر بعد خبره عن عذابهم أنه يغفر لمن يشاء أن يغفر له منهم ولم يعلمنا بهم فمن استثناه فهو لا محالة مغفور 112 له وإن كان الاستثناء لم يقع على أحد بعينه إلا أنا نعلم أن بعضهم يغفر لهم كما قال فعلينا أن نقطع بما بينه ونوقف ما أوقفه وهو عالم بمن يشاء مغفرته ومن يشاء عذابه

القسم السادس

ذكر الناسخ والمنسوخ في الأحكام

فأول ذلك معرفة السور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ لأنه الآخر في النزول

حدثنا شريح بن يونس قال حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال ما كان من حد أو فريضة أنزلها الله عز وجل بالمدينة وما كان من ذكر الأمم والقرون أنزل بمكة

قال وحدثنا شريح قال حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة قال السور المدنية البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والرعد والحجر والنحل والنور والأحزاب وسورة

محمد صلى الله عليه وسلم والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والنساء القصرى ويا أيها النبي لم تحرم ولم يكن وإذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله أحد وهو يشك في أرأيت

حدثنا عبد الله بن بكر قال حدثنا سعيد عن قتادة قال إن الذي أنزل بالمدينة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وآية من الأعراف واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر والأنفال وبراءة والرعد غير آية منها مكية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال إلى آخر الآية ومن إبراهيم إلى قوله

ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلى آخر الآية والحج غير أربع آيات منها مكية أولهن وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته إلى عذاب يوم عقيم والنور وعشر آيات من العنكبوت والأحزاب وسورة محمد صلى الله عليه وسلم والفتح والحجرات والرحمن والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون ويا أيها النبي إذا طلقتم النساء ويا أيها النبي لم تحرم ولم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله وبقية السور مكي

قال وحدثنا عبد الله قال حدثنا أسامة عن

الأعمش عن المسيب عن علقمة قال ما كان في القرآن يا أيها الناس فهو مكي وما كان يا أيها الذين آمنوا فهو مدني

قال ذكر سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة بنحوه

قال حدثنا شريح قال حدثنا مروان بن معاوية عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال كل آية أنزلت يا أيها الذين آمنوا بالمدينة ويا أيها الناس بمكة

فأما الناسخ والمنسوخ في الأحكام فهو على وجوه شتى منها خصوص ومنها عموم حدثنا سعيد قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله عز وجل نأت بخير منها أو مثلها يقول فيها تخفيف وفيها رخصة وفيها أمر وفيها نهي

قال وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نثبت خطها ونبدل حكمها

فالباب الأول ما رفع رسمه من الكتاب ولم يرفع حفظه من القلوب فأثبت حكمه بسنة نبيه عليه السلام من ذلك آية الرجم قال عمر رضي الله عنه إنا كنا نقرأ الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة

قال وحدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال سمعت أنس بن مالك يقول كنا نقول فيما نسخ أن بلغوا إخواننا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه

وقوله إنا أنزلنا هذا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

وفي مصحف عائشة قبل أن يغير عثمان رضي الله عنهما المصاحف إلى مصحف واحد إن الله وملائكته يصلون على الصف 113 الأول بعد قوله وسلموا تسليما

وقال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ومن ذلك ما روي النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم وكانت فيما أسقط وفي حرف أبي وهو أب لهم فليس ذلك في الرغبة وإنما ذلك في الولاية ولا يكون في الرغبة إلا ما كان من صلب الرجل

وقال النبي عليه السلام من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلا فعلي

وقوله اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك إلى قوله الجد ولو أن لابن آدم واديين من مال

لابتغا إليهما ثالثا وكان بعد ذلك هذا الكلام مثبتا في مصحف أبي وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر
وفي مصحف عائشة رضي الله عنها وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة فنسخ ذلك كله وأبدل أحكامه بالسنة
ثبت الرجم بالسنة وأوجب النبي عليه السلام على أمته ألا ينتفي أحد من والده فقال من انتفى من أبيه أو ادعى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله
ونهى عليه السلام عن الحرص الذي يخرج إلى طلب ما لا يحل وقوله إنا نستعينك ونستغفرك يقنت بها المسلمون في صلاتهم وكذلك وجاهدوا في الله حق جهاده وأوجب على العباد أن يفعلوه وأن يقوموا بذلك لله جل ذكره وقد جاءت بذلك أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم شهدوا أن هذه الآيات كانت مما أنزلها الله عز وجل
قال وحدثنا شريح قال حدثنا يحيى بن أبي

بكير عن فضيل بن مرزوق عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال أنزلت هذه الآية حافظوا على الصلوات وصلاة العصر وقرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن نقرأ ثم ننسخها فأنزل الله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فحفظتها الأمة فمنهم من قال نزلت ثم رفعت وهي ثابتة في السنة أنها صلاة العصر ومنهم من يقول بل رفعت وصلاة الوسطى غيرها ثم اختلفوا أي صلاة هي إلا أنه قد روي عن علي وعبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلاة العصر
وقال وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة فالجهاد ثابت والحكم به ثابت والرسم من الكتاب مرفوع

قال وحدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن عمر قال لعبد الرحمن بن عوف ألم تجد فيما أنزل الله أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة قال بلى ولكن أسقط من القرآن

والباب الثاني أن يرفع حكمه من الآية بآية أخرى ويبقى رسمه فيما أسقط ثابتا في كتاب الله عز وجل من ذلك قوله عز وجل وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج ومنه إن يكن منكم عشرون صابرون

الآية وقوله فأمسكوهن في البيوت وقوله ثلاثة قروء وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقوله إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين

وكذلك قوله فذرهم واصفح عنهم و أعرض عنهم و ما أرسلناك عليهم وكيلا و ما أرسلناك عليهم حفيظا و لست عليهم بمسيطر وقوله عز وجل فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فنسخ ذلك قوله تبارك وتعالى واقتلوهم حيث وجدتموهم وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا

والباب الثالث أن يرفع رسمه من الكتاب ويرفع حفظه من القلوب وحكمه فمن ذلك ما حدثنا إسمعيل

بن سليمان بن داود الهاشمي قال حدثنا ابن جعفر عن المبارك عن عاصم عن زر عن أبي قال قال لي أبي يا زر إن كانت سورة الأحزاب لتعدل سورة البقرة

قال وحدثنا حجاج بن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حرب عن أبي الأسود عن أبي موسى الأشعري قال أنزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله سيؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم

حدثنا القاسم بن سلام قال حدثنا عبد الله بن صالح 114 عن ليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة أن رجلا كانت معه سورة فقام يقرأ من الليل فلم يقدر عليها وقام آخر يقرؤها فلم يقدر عليها فقال النبي عليه السلام إنها نسخت البارحة
وحدثنا شريح قال حدثنا بكار بن عبد الله

الربذي عن موسى بن عبيدة قال سمعت محمد بن كعب يقول في هذه الآية يمحو الله ما يشاء قال ما أنسي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعدما قرؤوه
والباب الرابع أن يرفع رسمه من الكتاب ويبقى حفظه في القلوب ويرفع حكمه من ذلك ما روت عائشة أنه كان فيما أنزل الله ألا يحرم إلا عشر رضعات والأمة مجمعة أن حكم العشر رضعات غير لازم في الكتاب ولا في السنة وإنما اختلف العلماء في رضعة أو خمس رضعات ولم يقل أحد ما فوق الخمسة
قال وحدثنا عبد الغفار بن داود عن ابن

لهيعة عن عمرو بن دينار النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم ثم قال وكانت فيما أسقط
قال وحدثنا سنيد قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن الزهري قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم قال وحدثنا حجاج عن ابن جريح عن مجاهد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم فالأمة اليوم مجمعة أن النبي عليه السلام ليس بأب للمؤمنين وقد قال الله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية
والباب الخامس أن يرفع الرسم ويرفع الحكم

إذا كان الحكم لعلة فانقضت تلك العلة وذلك كقوله عز وجل وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم الآية فكان إذا جاءت امرأة من الكفار إلى المؤمنين أعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها صداقها من الغنائم وذلك قوله تعالى وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا فإن عاقبتم يعني إن غنمتم فأعطوا زوجها مثل ما ساق إليها من الصداق وذلكم الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار مكة

وقال جل من قائل إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن إلى قوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم وهذا في الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار أهل مكة فنسخ ذلك إذ زال الصلح وفتحت مكة فأيما امرأة جاءت من المشركين لم يجب أن يعطوا زوجها شيئا وكذلك الكفار ليس واجبا في الحكم أن يعطوا

أزواج من هرب إليهم من المسلمين

ومنه توقيت الله عز وجل للنبي عليه السلام استغفاره لبعض من كان أظهر له الإيمان وأسر النفاق ثم نسخها الله فنهاه عن الاستغفار لهم

ومن ذلك أن النبي عليه السلام حض على الصدقة فجاء عبد الرحمن بمال عظيم وجاء عاصم بن عدي بصاعين فاستهزأ معتب بن قشير وحكم بن يزيد فقالا أما عبد الرحمن فما أعطى إلا رياء وسمعة والله عز وجل عن صاعي عاصم غني فأنزل الله جل ذكره استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال عم النبي عليه

السلام لا تستغفر قد نهاك الله فقال النبي عليه السلام يا عم أولا أستغفر إحدى وسبعين مرة وكان ظاهرهم الإسلام فاطلع الله على نفاقهم وليس أحد يعلم ذلك بعد النبي عليه السلام لأنه وحي من الله جل ثناؤه فهكذا كان ثم انقضى حكمه فنسخ التخيير للنبي في

أكثر من السبعين إذ حرم عليه أن يستغفر لهم سبعين مرة ولم ينهه عن أكثر من ذلك ثم نهاه الله عز وجل بعد ذلك عن الاستغفار ألبتة بقوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وهذا لا يجوز أن يكون لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ما اختلفوا في الآية الثانية هل هي زيادة حكم 115 أم ناسخة لأولى من ذلك ما أنزل من الهجرة ثم أنزل بأمره بالقتال عليها فقال قوم نسخت بعد الهجرة بغير قتال عرض للمهاجر ولا رخصة له في الرجوع وكانت له رخصة أولا

حدثنا يوسف عن شيبان عن قتادة وحدثنا شريح قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن النبي عليه السلام قال لما نزلت آية الهجرة كتب بها المسلمون من المدينة إلى إخوانهم بمكة فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق أدركهم المشركون فردوهم فأنزل الله عز وجل ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون عشر آيات من أول السورة فتعاهدوا فخرجوا فتبعهم المشركون فاقتتلوا فمنهم من قتل ومنهم من نجا فنزلت فيهم ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتتنوا إلى قوله لغفور رحيم وقال بعضهم بل يعني هي زيادة حكم ثان لا ناسخة

ومنه ما أوجب الله جل ثناؤه على المؤمنين ألا يناجوا الرسول حتى يتصدقوا بصدقة إذا أرادوا أن يناجوه بعدما يتصدقون ثم رفع ذلك بقوله عز وجل أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا

وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة الآية فنسخ هذه الأحكام فلم يبق لنا منها حكما في كتابه لأن صلح النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة قد مضى وانتهى ولا يعلمه إلا الله جل ذكره

والنهي للإستغفار عمن أظهر الإسلام وأسر النفاق ولم ينه عن ذلك إذ كنا لا نعرف ما في قلبه بوحي ينزل فلنا أن نستغفر لكل من أظهر الإسلام ونكل سريرته إلى الله عز وجل ولا نبي بعد محمد عليه السلام وقد مضى النبي عليه السلام وتاب الله على المؤمنين فيما

كان أوجب عليهم من الصدقة فناجوا الرسول من غير أن يقدموا قبل مناجاتهم صدقة والباب السادس أن يفعل النبي صلى الله عليه وسلم فعلا أو يأمر أمته بفعل ليس بنص في كتاب الله عز وجل فينسخه الله بحكم أنزله في كتابه فيثبت الحكم في الكتاب بالفرض وأباح ما كان محرما كذا

من ذلك صلاته إلى بيت المقدس وإن كان قد قال بعض ما مضى أن الله افترض الصلاة أولا إلى بيت المقدس بقوله فأينما تولوا فثم وجه الله لو لم تجمع الأمة على هذا القول إلا أنها مجمعة أن الله أوجبه بما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لا يكون إلا عن الله عز وجل وإن لم نجد نصه في كتاب الله فنسخ الله عز وجل ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره

ومنه استغفاره لعمه فنسخ ذلك ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية

ومنه كلامه في الصلاة المفروضة فروى زيد بن أرقم أن الله عز وجل نسخ ذلك بقوله وقوموا لله قانتين وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله أحدث من أمره ألا تكلموا في الصلاة ولم يبين أنها بعينها نزلت لذلك

ومن ذلك أيضا أنه كان محرما عليهم بغير نص نجده في الكتاب إذا ناموا في ليالي رمضان ألا يأكلوا ولا يشربوا ولا ينكحوا إلى دخول الليل من القابلة ولهم أن يفعلوا من ذلك ما أحبوا قبل أن يناموا ففعل ذلك غير واحد منهم فرفع ذلك عنهم رحمة بهم وعرفهم مع رفعه إياه عنهم أن ما أوجب من ذلك كان يصنعه بعضهم فقال عز من قائل أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فرفعه ونسخه وقررهم بخيانتهم أنفسهم وعفا عنهم خيانتهم أنفسهم فيما كان نهاهم عنه ففعلوه

وكان 116 يؤذن بعضهم بعضا بالصلاة فنسخ ذلك برؤيا عبد الله بن زيد الأنصاري الأذان وأكد رؤياه وإذا ناديتم إلى الصلاة

والباب السابع أن يختلفوا في الآيتين أناسخة إحداهما الأخرى أم لم تنسخها وإن أجمعوا أن يستعملوا التي

اختلفوا فيها منسوخة أم لا على التجوز والاحتياط لا على القطع من ذلك قوله وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما ثم قال جل ثناؤه في الآية الأخرى إلا ما ملكت أيمانكم فقال علي أحلتها آية وحرمتها آية وقال عثمان نحو ذلك
وكذلك قوله عز وجل وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا إلى قوله تعالى لعلهم يتقون هذه مكية ثم نزلت بالمدينة وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
قال وحدثنا شريح قال حدثنا إسحاق بن يوسف

عن سفيان عن السدي عن سعيد بن جبير وأبي مالك وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا نسختها الآية في النساء وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها الآية
حدثنا شريح قال حدثنا يحيى بن زكريا عن الحجاج عن أصحاب عبد الله قال المتعة

منسوخة نسختها الطلاق والعدة والميراث
وحدثنا يونس بن محمد قال حدثنا شيبان عن قتادة عن سعيد بن المسيب ثم نسخ هذا الحرف المتعة وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
واختلفوا في قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف قال بعضهم نسخت بقوله فنصف ما

فرضتم وقال إن في النصف لها لمتاعا حسنا وقال بعضهم هي ثابتة لم تنسخ وليست بواجبة لمن شاء متع ومن لم يشأ لم يمتع وقد متع عبد الرحمن بن عوف والحسن وعلي وغيرهم والواجبة التي لم يسم لها صداقا ولم يدخل بها

حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا شيبان عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن المتعة نسخها قوله تعالى فنصف ما فرضتم

والباب الثامن أن يختلفوا في الآيتين أناسخة إحداهما الأخرى أم لا ويجمعوا على إثبات حكمهما في معنيين مختلفين من ذلك قوله جل وعز والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال مجاهد نسخ منها عدة التي لم يدخل بها قال يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها

وحدثنا شريح قال حدثنا هشيم قال حدثنا يونس عن الحسن قال نسخ من القرء امرأتين واللائي يئسن من المحيض من نسائكم واللائي لم يحضن

قال وحدثنا شريح قال حدثنا الحسن بن موسى

عن ورقاء عن مجاهد ثم نسخ من القرء عدة من لم يدخل بها

وقال الحسن قرء امرأتين اللائي يئسن من المحيض واللائي لم يحضن وأبى ذلك أكثر العلماء وقالوا نحن نرد إلى قوله بقوله ثلاثة قروء اللائي لم يحضن وقد دخل بهن وقوله إذا نكحتم المؤمنات وقوله واللائي يئسن من المحيض حكمين مخصوصين لم يدخلهم الله جل ذكره في الأقراء ولكن خص آية الأقراء في ذوات الحيض المدخول بهن وخص كل آية من الآيتين الآخريين كل واحدة منهما بحكم سوى الأخرى واختلفوا في هاتين الآيتين الآخريين والأمة مجمعة أن عدة الآيسة من المحيض والتي لم تحض ثلاثة قروء

وعن ابن أبي ليلى عن عطاء عن أبي هريرة قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخافت وجهر وخافتنا فيما خافت لها وما كان ربك نسيا
حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد في الدعاء قال وقال أبو همام عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في الدعاء حدثنا عباد بن العوام عن الأشعث عن عكرمة 117 عن ابن عباس كانوا يقولون اللهم اغفر وارحم

حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله جل وعز ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان النبي صلى الله عليه وسلم متواريا بمكة إذا قرأ القرآن رفع صوته فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن جاء به فأنزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يستطيعون أن يأخذوا عليك
حدثنا هشيم قال حدثنا منصور وعوف عن الحسن ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا ترائي في العلانية ولا تسئ بها في السر والأمة مجمعة أن للمصلي أن يرفع صوته وله أن يخافته ويسمع أذنيه وأجمعوا أنه لا يجوز أن يرائي بصلاته
وكذلك قوله عز وجل وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا الآية فقال بعضهم نسختها

إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله إلى قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
وقال بعضهم كلتاهما محكمتان ليست إحداهما بناسخة للأخرى تحريم أخذ القنطار على الظلم بغير الحق وأخذه منها تفدي به نفسها ليخلعها ثم تأخذه فهذه خصوص وهذه مخصوص
والباب التاسع أن أصحاب محمد عليه السلام اختلفوا في آيتين هل نسخت إحداهما الأخرى وحكمهما جميعا ثابتان ثم أجمعت العلماء بعد عصرهم من التابعين ومن بعدهم عن سنة النبي عليه السلام أن إحداهما نسخت الأخرى وأنها مبدلة لبعض حكمها من ذلك قول الله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر

وعشرا وقوله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن فاختلف زيد وابن مسعود وابن عباس

فقال ابن مسعود أن سورة النساء القصرى أنزلت بعد
وقال عتبة تربص آخر الأجلين
والأمة مجمعة اليوم أن الآية في الحامل قد ثبت حكمها وأنها لا تربص آخر الأجلين وذلك أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر سبيعة أن تتزوج بعد وفاة زوجها بأربعين يوما
ومنه أيضا المملوكة يكون لها زوج يريد المولى أن يعزل عنها زوجها وينكحها فأجمعوا أن ذلك جائز في بعض المماليك واختلفوا في بعضهم فرأى جابر وأنس أن بيعها طلاقها فرأوا أن ينكحها المشتري ويعزل زوجها عنها ولا ينكحها الأول الذي هو زوجها
ورأى ابن مسعود أن ينكحها زوجها واحتج بقوله والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم وأبي ذلك أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عمر

وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد رضي الله عنهم
وقالوا لا يجوز للمولى أن ينكح أمته إذا كان لها زوج وإن كانت ذمية تحت ذمي وأجمعوا جميعا بعد ذلك أن ذوات الأزواج إذا سبين ينكحهن من ملكهن وأن الله جل ذكره نسخ ذوات الأزواج من النساء بقوله والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
قال أبو سعيد الخدري نزلت في سبايا أوطاس والأمة مجمعة اليوم أنه لا يحل للموالي أن ينكحوا الأزواج سوى السبايا وأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خير بريرة من زوجها بعدما بيعت وأعتقت بعد البيع لم يجعل البيع يزيل نكاح زوجها ولو كان البيع مزيل النكاح فكان بيعها طلاقها لكانت حين

باعها مولاها من عائشة رضي الله عنها واشترتها منهم وقبضتها كان قد زال نكاحها بالبيع وبانت منه

وقد كان بعض من مضى يرى أن آية الاستئذان منسوخة والعلماء اليوم مجمعة أنها ثابتة إلا أن بعضهم رأى أن دق الباب يجري من الاستيذان

وكذلك قوله لا إكراه في الدين قال بعضهم ليست بمنسوخة ولكنها ثابتة في أهل الذمة إذا أدوا الجزية لم يكرهوا وروي أن عمر قال لغلام رومي أسلم فأبى فقال عمر لا إكراه في الدين وقال قوم هي منسوخة نسختها آية السيف قوله عز وجل أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على 118 نصرهم لقدير وغيرها من الآي

ومن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال بعضهم نزلت في أهل الذمة ناسخة لقتالهم من بين الكفار وقال بعضهم أريد بها آخر الزمان في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر لأهل الإسلام إذا غلبت الأهواء ولم تقبل العامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمر وقال بعضهم لم تنسخ وإنما معنى قوله تعالى عليكم أنفسكم أهل دينكم يأمر بعضكم بعضا ثم عزاهم فقال لا يضركم ضل أي من لا تضركم ضلالة الضالين فائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر كما أمرتكم وكذلك قوله عز وجل فتول عنهم فما أنت بملوم

حدثنا شريح قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب السختياني عن مجاهد قال خرج علي معتجرا ببرد مشتملا فقال لما نزلت فتول عنهم فما أنت بملوم أحزنا وقلنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنا حتى نزلت وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقال بعضهم لم تنسخ وإنما أمر أن يتولى عن الكافرين ويذكر المؤمنين

وكذلك قوله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض حدثنا سنيد قال حدثنا أبو سفيان عن معمر

عن قتادة ويستغفرون لمن في الأرض قال للمؤمنين وقال أكثر العلماء لم يأذن للملائكة أن يستغفروا للكفار وإنما معناه لمن في الأرض خصوص يعني المؤمنين ثم بين في المؤمن ما أبهمه في قوله لمن في الأرض فقال ويستغفرون للذين آمنوا

والباب العاشر أن يجمع العلماء على نسخ آية ثم يختلفون في الناسخة ماذا أوجبت من الحكم فيجمعوا على حكم أنها أوجبته ونسخت ما قبله ويختلفون في غيره أثبت بالناسخة أم لا من ذلك قوله عز وجل والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وكان الأعرابي لا يرث قريبه من المهاجرين وكانوا يتوارثون بالهجرة حتى نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فأجمعوا أن الآية الأولى منسوخة وأن الله جل ثناؤه أثبت الميراث

بالقرابة للمؤمنين لا بالهجرة ممن سمى الله له الميراث وممن لم يسم له الميراث كالخالة والعمة وابنة الأخ وما أشبه ذلك فرأوا ألا يرد على الوارث ما فضل من المال بعدما يعطى ما سمى الله جل ذكره وما خلا المرأة والزوج إذا لم يكونوا قرابة ورأوا إن لم يترك قرابة ممن سمى الله جل ذكره وترك قرابة ممن لم يسم الله جل ذكره له ميراث ورثوهم على منازل قرابتهم من الميت

يرى ذلك أهل العراق وأبى ذلك مالك وأهل المدينة فقالوا لا يرد على وارث ممن سمى الله عز وجل ولا يورث من لم يسم الله جل ذكره يرث الميت المسلمون ما فضل عمن سمي له الميراث وما ترك من لم يدع وارثا له معينا ميراثا فبيت المال أحق به قاله زيد بن ثابت وقال القول الأول عدة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عمر وعلي وابن مسعود وحدثنا شريح قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة والذين آمنوا ولم يهاجروا قال كان

المسلون يتوارثون بالهجرة والذين آخا النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة فكان الرجل يسلم ولا يهاجر فلا يرث أخاه فنسخ ذلك وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين

والباب الحادي عشر أن يختلف الصدر الأول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الآيتين أنسخت إحداهما الأخرى أنم لم تنسخها ثم يجمع العلماء بعد أن إحداهما هي المحكمة فمن ذلك قوله والزانية لا ينكحها إلا زان روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها ثابتة لم تنسخ وأنه لا يحل أن ينكح الزانية إلا زان وروي عن ابن مسعود مثل ذلك وقد روي عنه خلاف ذلك أنه سئل عن ذلك فقرأ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات

وحدثنا سنيد قال حدثنا هشيم قال حدثنا أبو خباب عن بكر بن خنيس عن أبيه قال أتيت ابن مسعود فسأله رجل عن رجل زنى بامرأة فحدا ثم تابا وأصلحا أيتزوجها فتلا هذه الآية 119 وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون
وحدثنا هشيم قال حدثنا مغيرة عن إبراهيم عن علقمة أنه سئل عن ذلك فتلا هذه الآية إلى آخرها وقال قوم نسختها وانكحوا الآيامى منكم وهن من أيامى المسلمين

حدثنا سنيد قال حدثنا ابن جريج وأخبرني يحيى بن سعيد عن ابن المسيب مثله قال إنهن من أيامى المسلمين وقال ابن عباس لم يرد بهما تحريم التزويج إنما وصف الزانيات أنه لا ينكحوهن كذا يعني لا يقع لهن إلا زان مثلهن وإن كان مسلما أو مشركا مستحلا لذلك فليست بمنسوخة ولكنها خصوص في الزاني ألا يتزوج وهو محرم وفي المشرك المستحل لذلك وقال قوم يتزوجها الذي زنا بها لأنه هو الذي يحصنها ولا يتزوجها غيره وذهب قوم إلى أنها منسوخة للتائب لا غيره
والأمة اليوم مجمعة أنه لا بأس أن يتزوجها هو وغيره لأن أوله حرام وآخره حلال فلا بأس أن يتزوج العفيف والزاني الزانية
وكذلك قوله وأشهدوا إذا تبايعتم فكان ابن

عمر يشهد إذا باع وإذا اشترى ويرى أنها ثابتة لم تنسخ وحدثنا شريح قال حدثنا هشيم قال حدثنا إسماعيل قال قلت للشعبي أرأيت الذي يشتري من الرجل شيئا حتما عليه أن يشهد قال ألم تر إلى قوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضا فنسخ ما كان قبله
حدثنا شريح قال حدثنا ابن أبي زائدة قال حدثنا الحكم قال فإن أمن بعضكم بعضا
نسخت هذه الشهود والعلماء اليوم مجمعة أنها منسوخة نسختها فإن أمن بعضكم بعضا
وثبت عند العلماء أن النبي عليه السلام بايع رجلا فرسا بغير بينة لأنه سأل الرجل البينة فلم تكن له

فجاء خزيمة بن ثابت يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يحضر مصدقا للنبي عليه السلام وقال بعضهم لم تكن واجبة أن يشهد وإنما هي دلالة من الله عز وجل لهم على أن يستوثقوا من أموالهم بالكتاب والسنة لا على الوجوب وكذلك قوله عز وجل يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه فقال عطاء هي ثابتة لم تنسخ وقال جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى وحدثنا شريح قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أمروا ألا يقاتلوا في الشهر الحرام فنسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام فنسخ الله جل ذكره تحريم القتال في الشهر الحرام وقتال من أحرم من المشركين أو قلد محرما وهو مشرك فأباح قتال هؤلاء كلهم إلا أن يسلموا أو يكونوا أهل كتاب فيعطوا الجزية

وقال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وغيرهما هي منسوخة نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والأمة مجمعة أن الغزو في الشهر الحرام وغيره حلال وطاعة حدثنا علي بن عاصم عن يمان عن عامر قال لم ينسخ من المائدة شيء قال لا
وقد أجمعت الأمة اليوم أن قوله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد

ولا آمين البيت الحرام على نسخها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وكذلك قوله عز وجل إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية فكان ابن عمر

يرى أنها ثابتة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبكا من ذلك لما قرأها
قال وحدثنا يزيد قال سفيان بن حسين عن الزهري عن سالم أن أباه قرأ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فدمعت عيناه فبلغ صنعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن نسختها لا يكلف الله نفسا إلا وسعها 120 لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
وحدثنا سليمان بن داود قال حدثنا إبراهيم عن سعد عن ابن شهاب عمن سمع سعيد بن مرجانة يتحدث أنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر إذ تلا عبد الله بن عمر هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو

تخفوه الآية ثم قال والله إن أخذ بهما لتهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت ما تلا ابن عمر من هذه الآية فقال ابن عباس يغفر الله لأبي عبد الرحمن لقد وجد المسلمون فيها وجدا حين نزلت مثل ما وجد عبد الله فأنزل الله بعدها لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة ما لا طاقة للمسلمين به
فصار الأمر إلى قضاء الله عز وجل أن النفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت العمل
وأبى ذلك ابن عباس وغيره وقالوا منسوخة
وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن ابن عباس لما نزلت ضج المسلمون منها ضجة وقالوا يا رسول الله نتوب عن عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة كيف نمتنع منها فجاء جبريل بهذه الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إنكم

لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسواس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت الآية
وقال حدثنا شريح قال حدثنا هشيم قال حدثنا شيبان عن الشعبي قال لما نزلت هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه نزلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت الآية
حدثنا مروان بن شجاع قال حدثنا خصيف عن مجاهد نحوه
وقال قوم من أهل الآثار إن هذا لا يجوز أن ينسخ لأنها خبر والخبر لا ينسخ
وقال سائر العلماء هذا وإن كان خبرا فإنه إيجاب حكم من واخذه بحديث النفس ثم رحم الله جل اسمه خلقه فرفع عنهم الحكم بالمواخذة لأنه حكم والحكم يجوز نسخه وإنما معنى يحاسبكم يواخذكم به الله ثم رفع الحكم بذلك
والأمة مجمعة أنها منسوخة

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عما يجد العبد من الوسوسة مع ما يظهرون من الكراهة لما يجدون فقال ذلك صريح الإيمان
وقال تجاوز الله لأمتي عما حدثت به نفوسها
وكذلك قوله تعالى وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فرأى بعضهم أنها ثابتة فرأى أن يعطى من الميراث الذين لا يرثون
وحدثنا شريح قال حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله وإذا حضر القسمة هذه الآية اختلف الناس فيها
وحدثنا هشيم قال حدثنا منصور عن قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث آيات محكمات ضيعهن كثير من الناس منهن هذه

حدثنا هشيم عن أبي إسحاق عن مجاهد قال محكمة وليست بمنسوخة
حدثنا شريح قال حدثنا هشيم عن مغيرة عن سيار عن إبراهيم قال نسختها العشر ونصف

العشر حدثنا هشيم قال حدثنا جبير عن الضحاك والكلبي عن أبي صالح قال هي منسوخة وروي عن سعيد بن جبير وغيره أنه نسختها آية الزكاة
والعلماء اليوم مجمعون أن الميراث لأهله ولا يجب إعطاؤهم إلا أن يكون الوارث بالغا فيتطوع فيتصدق على أقربائه ورأى بعضهم أنها ثابتة لم تنسخ وإنما أريد بها الزكاة لا التطوع وحدثنا شريح قال حدثنا هشيم عن حجاج عن

سالم المكي عن ابن الحنفية يوم حصاده قال العشر ونصف العشر
حدثنا شريح عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعند ذرايته
وكذلك قوله عز وجل إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين فزعم قوم من الصدر الأول أن الله جل ذكره نسخ الآية كلها فنهى عن الوصية لمن يرث وأن الواجب للأقربين الذين لا يرثون في الثلث قال ذلك طاوس والضحاك
وقال بعضهم هي تطوع إلا أنه ليس له أن يوصي إلا في الذين لا يرثون

وقال قوم له أن يوصي بثلثه في الأقربين فيمن شاء وقال جل الناس لم تنسخ وإنما أراد بها الوالدين والأقربين الذين لا يرثون من الكفار المماليك ومن لم يرث من القرابة
والأمة اليوم مجمعة أنها ليست بواجبة وإن أراد 121 أن يتطوع فله أن يوصي لمن أحب
وكذلك قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال ابن عباس محكمة وأن قوله متعمدا أنزلت بعد التي في الفرقان بسنة وقال أبو هريرة لا يدخل الجنة وقال الضحاك نزل قوله الأول من تاب قبل قوله متعمدا بسبع سنين وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم نازلت ربي في قاتل المؤمنين أن يجعل له توبة فأبى أن يجعل له توبة

والعلماء اليوم مجمعة أنها نسختها التوبة فمن تاب أجمعت جميع الأمة موافقها ومخالفها على قبول التوبة إلا رجل واحد فإنه خرج عن الإجماع

والباب الثاني عشر أن تختلف الأمة في الآية أولها وآخرها في آيتين هل نسخت إحداهما الأخرى ثم لا يجمعون على واحد من القولين من ذلك قوله عز من قائل في أهل الذمة فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم

فاختلف في ذلك العلماء

فقال قوم من أهل العراق الآية محكمة لم ينسخها شيء وروي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كتب إلى محمد بن أبي بكر في نصرانية زنت أن ادفعها إلى أهل دينها فرأى أن آية التخيير ثابتة فذلك أمره أن يترك الحكم فيها ويدفعها إلى أهل دينها

وأبى ذلك كثير من العلماء وقالوا ليس للموالي إذا ارتفعوا إليه إلا أن يحكم بينهم وقالوا نسختها بعدها قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم قال ذلك الشعبي ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم

حدثنا شريح قال حدثنا هشيم عن منصور وغيره عن الحكم ومجاهد في قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله قال نسخت ما كان قبلها فاحكم بينهم أو أعرض عنهم حدثنا شريح قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الساري عن عكرمة فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسختها وأن احكم بينهم بما أنزل الله إليك

واختلفوا في قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فقال أكثر العلماء لم تنسخ وقال أقلهم

نسخ منها في الكفار قوله واقتلوهم حيث وجدتموهم

حدثنا شريح قال حدثنا هشيم عن عباد عن الحسن وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

قال نسخ في براءة وأمر بالقتال

وأبى ذلك العلماء إلا أنه أثنى على المؤمنين بالحلم ولم يرد بذلك قتال المشركين والأمة اليوم مجمعة أنها ليست بمنسوخة إلا الحسن فيدخل في الباب الذي أجمعوا لا أن آخر الأمة غلطت فيه

وكذلك قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين فقال بعض العلماء نزلت فيمن يطيق الصيام فخيره الله جل ذكره إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم مسكينا ولم يصم فنسخ الله جل

وعز هذه الآية بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقرأ من قال ذلك بالتخفيف وهو أكثر العلماء فقرأ وعلى الذين يطيقونه خفيفة

حدثنا شريح قال حدثنا بكار بن عبد الله الربذي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فنسختها فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

وقالت فرقة ليست بمنسوخة إنما أنزلها الله في الشيخ الكبير والحامل والمرضع ومن به العطش ممن يكون الصوم عليه شديدا فجعل الله له أن يطعم مسكينا إلا أنهم مجمعون على اختلافهم في الشيخ أن للشيخ أن يفطر ويطعم

ومن ذلك قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف

حدثنا شريح قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن مجاهد خذ العفو قال خذ ما عفا لك من أخلاقهم

وكذلك قوله تعالى وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واختلفوا فيه فقال أكثرهم نسخ بالزكاة وقال الكلبي كان هذا قبل أن يؤمر بالزكاة ثم نسخت بالزكاة

وكذلك قوله تعالى فإما منا بعد وإما فداء قال بعضهم نسختها فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قاله قتادة

حدثنا سعيد حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر قال يمن على الأسير 122 أو يفادى حدثنا

أبو سفيان عن معمر حدثني رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر قال ما رأيت عمر قتل إلا أسيرا

واحدا حدثنا مبشر الحلبي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم قال أتي عمر بن عبد العزيز برجل من أهل فارس فبينما هو يحاوره إذ قال الأسير أما والله لرب رجل من المسلمين قد قتلته قال فأمر به فضربت عنقه وقال لا أستبقيه على ما قال

حدثنا مبشر عن صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الحرازي أن الأسير كان معه فلم يقتله وأبو سفيان عن معمر عن الحسن قال لا يقتل الأسير إلا في الحرب

أبو سفيان عن معمر عن قتادة فإما منا بعد قال نسختها فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم

وكره قتله الحسن وعطاء وغيره قال إن شاء الإمام من وإن شاء فادى

وقال ابن عباس هو مخير إن شاء قتل وإن شاء فادى وإن شاء من

وكذلك القول لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل ومن وفادى

وكذلك قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن حدثنا شريح قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن قال نسختها فاقتلوا المشركين ولا مجادلة أشد من السيف

حدثنا يحيى بن بكير عن سالم عن سعيد أو مجاهد ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم أهل الحرب فجادلوهم بالسيف

الباب الثالث عشر الناسخ والمنسوخ الذي أجمعت عليه الأمة أنه ناسخ فمنسوخ لا

يختلفون في ذلك وهو مثبت في الكتاب من ذلك ما نسخ حكمه كقوله عز وجل وأعرض عن الجاهلين واصفح الصفح الجميل فاصفح عنهم وقل سلاما وامهلهم رويدا وذر الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا فذرهم في غمرتهم حتى حين قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وما أرسلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل فاعرض عنهم وانتظر وما أشبه ذلك نسخه الله بقوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير

ومن ذلك قوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا نسخ ذلك قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأما قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن الله عز وجل نسخها ساعة من نهار لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم أعاد تحريمها كما كان فلا يحل قتالها أبدا إلا أن يبتدئ المشركون فيها بالقتال فيحل القتال للمسلم إذا بدؤوه لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه الآية فنسخها الله لنبيه ساعة من نهار بقوله فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم إلى قوله وهم بدؤوكم أول مرة إلى قوله ويشف صدور قوم مؤمنين يعني خزاعة من بني بكر حلفاء قريش

فقاتلت بنو بكر خزاعة وكان بين أهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلح فأرسلت قريش من أهل مكة إلى بني بكر فطال كان ذلك نكثا لعهدهم فأذن الله لنبيه أن يأتيهم في الحرم ويبدأهم بالقتال فسار إليهم النبي عليه السلام فقاتلهم في الحرم فلما فتح لنبيه عليه السلام مكة وفرغ من قتالهم قال لا قتال بين أحد فنقول لهذا أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أحلها ساعة من نهار ثم عادت كما كانت لا يحل فيها قتال ولا يختلا خلاها ولا يعقر صيدها ولا يعضد شجرها
وقد روي عن قتادة أنه نسخ قوله ولا تقاتلوهم عند

المسجد الحرام بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فليس كما قال ما زال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون إلى عصرنا مجمعين أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه قد عادت حرمتها

حدثنا أبو إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله عز وجل فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم 123 إلى قوله سلطانا مبينا قال لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين إلى قوله فامتحنوهن ثم نسخ هؤلاء الآيات فأنزل براءة من الله ورسوله إلى قوله ونفصل الآيات لقوم يعلمون وأنزل وقاتلوا المشركين كافة إلى قوله

المتقين وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ثم نسخ هذه بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله

وأما قوله ويسألونك ماذا ينفقون

فحدثنا شريح قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال العفو الفضل عن العيال ثم نسخ ذلك بالزكاة

وكذلك قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما وقوله فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا فأنزل الله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فنسخ الله حد البكرين من الأذى والحبس والجلد بالتبيين بما بين النبي صلى السلام عن الله عز وجل لأن الله تبارك وتعالى قال حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا فأمرهم بانتظار السبيل فقال النبي عليه السلام خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلدماية ورجم بالحجارة وقال عمر

رضي الله عنه كنا نقرأ فيما أنزل الله الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة فنسخ حد البكرين بالجلد ونسخ الثيبين بما كان نزل في القرآن من الرجم ثم رفع رسمه من الكتاب وبقي وجوبه

وقوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم

حدثنا شريح قال حدثنا أبو سفيان عن معمر قال

قد بين قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأبى أكثر العلماء وقالوا إنما أراد ما يفعل بي ولا بكم ما أدري ما أومر به أنا وأنتم

وكذلك إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

حدثنا شريح قال حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة قال نزلت على النبي عليه السلام ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر بين مكة والحديبية

وقال بعضهم إنما عنى بذلك ما أدري أن يحدث من أمر أو حكم في وفيكم

والعلماء على أنها منسوخة

ونسخ قوله ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير وقوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون بقوله عز وجل

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون

وكذلك قوله وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول نسخ الله ذلك بقوله ولهن الربع مما تركتم فقسم الله لهن الميراث ونسخ الوصية لهن وقال بعض العلماء نسخه الله بقول النبي عليه السلام لا وصية لوارث ونسخ ما كان عليها من العدة إلى الحول بقوله يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا

وقال بعضهم لم يوجب الله عز وجل العدة في الحول إنما كان أباح لها الوصية إذا كانت من الزوج على أن تسكن إلى الحول فنسخها بالميراث

وكذلك قوله عز من قائل يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا فقام النبي عليه السلام وأصحابه حولا

كاملا حتى تورمت أقدامهم فنسخها الله جل ثناؤه بقوله فاقرءوا ما تيسر منه
وكذلك قوله عز وجل إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنسخها بقوله فإذ لن تفعلوا وتاب الله عليكم
وكذلك قوله إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين نسخها الله فاختلفوا
فمنهم من قال بآيات المواريث ومنهم من قال بقول النبي عليه السلام لا وصية لوارث وقال بعض من يتفقه لم تجب قط فتنسخ إنما عنى الله جل ذكره بقوله للوالدين والأقربين العبيد والكفار

من الأخوان 124 الذين لا يرثون فالوصية لهم جائزة على حالها لم تنسخ ولم يقل هذا القول أحد ممن مضى
وقال بعض التابعين نسخ منها كل من يرث وبقي منها القرابة الذين لا يرثون فالوصية لهم واجبة إلا أنهم مجمعون أن الوصية لا تجوز إلا للأقربين الذين لا يرثون ولا تجوز لمن يرث
وكذلك الخمر نسخ قوله فيهما إثم كبير ولم يحرمها ونسخ من قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فنسخ ذلك بقوله فاجتنبوه لعلكم تفلحون
وكذلك قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام

نسخ الله بها صلاته إلى بيت المقدس
وكذلك قوله إن لم يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين إلى قوله لا يفقهون فكتب

عليهم بهذه الآية ألا يفر واحد من عشرة ولا قوم من عشرة أمثالهم ووعد النصر أن ينصر الواحد على العشرة والقوم على عشرة أمثالهم إن صبروا فجبنوا عن ذلك وضعفوا عنه فنسخ الله عز وجل ذلك وخفف عنهم ورفع عنهم من ضمانه لنصرهم على قدر ما خفف عليهم في الآية الناسخة فأنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا إلى قوله بإذن الله فوجب عليهم ألا يفر الرجل من الرجلين ولا القوم من مثلهم ووعدوا أن ينصر الواحد على الاثنين والقوم على مثليهم إذا صبروا

ونسخ قوله وإن جنحوا للسلم فاجنح لها بقوله عز من قائل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله صاغرون

ونسخ قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فلم تزل الأمة مجمعة أن نكاح نساء أهل الكتاب حلال إلا ابن عمر فإنه كرهه وكرهه عمر وغيره بغير التحريم خوفا أن تكون الذمية ليست بعفيفة

وكذلك قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم فنسخه بقوله إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وبقوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله

وكذلك قوله فسيحوا في الأرض نسخه بقوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله

وكذلك قوله فسيحوا في الأرض فأجلهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض بقية عهدهم وآذنهم بالحرب بعد انقضاء الأربعة أشهر

وقال ابن عباس وأجل الذين ليس لهم عهد خمسين ليلة انسلاخ الأشهر الحرم يسيحون فيه حيث شاؤا

وقال عز وجل فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال فأمرهم الله إذا انسلخ الأشهر الحرم أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام ونقض ما سمى لهم من العهد والميثاق أذهب الشرط الأول ثم قال عز وجل إلا الذين عاهدتم عند المسجد

الحرام يعني أهل مكة فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين فأرسل النبي عليه السلام

أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فأذنوا لأصحاب العهد أن يأمنوا أربعة أشهر وهي الأشهر الحرم ولا عهد لهم

قال وهي الحرم من أجل أنهم أمنوا فيها حتى يسيحوا فيها فأذن للناس كلهم إن لم يؤمنوا فنسخ الله جل ذكره ببراءة في قوله إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق إلى قوله فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ونسخت قوله لا ينهاكم الله عن الذين يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم فنسخ ذلك كله ببراءة

وقال الله عز وجل انفروا خفاقا وثقالا فأوجبت هذه الآية على الأمة الجهاد وقال ابن عباس فنسخها قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة قال ابن عباس فتنفر طائفة وتمكث طائفة مع النبي عليه السلام والماكثون

يتفقهون في الدين وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم من الغزو وبما أنزل الله وكتابه وحدوده 125 وروي عنه أيضا أن السرايا هي التي ترجع فيتعلمون من القاعدين مع النبي عليه السلام

وأمر الأنفال إذا جمعت الغنائم بغير مبادرة ولا نفل بشرط قبل الخروج ولكن الغنائم التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قال ابن عباس فذلك قوله تعالى قل الأنفال لله والرسول وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لأحد فيها شيء ثم أنزل الله بعد واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه الآية فقسم الله الخمس الذي كان للنبي عليه السلام خاصة ينفل منه على خمسة أخماس وجعل الأربعة الأخماس الباقية لمن شهد الوقعة

وكذلك قوله عز وجل والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل بقول ترثني وأرثك ويرضيان بذلك ويتعاقدان وعلى ذلك

ابن عباس وقال ابن المسيب نزلت في الأدعياء كانوا رجالا يتبنون رجالا يرثونهم
وأجمعت الأمة أن الله عز وجل نسخ ميراث الحلفاء والأدعياء بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا قال ابن عباس إلا أن يصلوا أولياؤهم الذين عاقدوهم وصية لهم
قال ابن المسيب فجعل للأدعياء الوصية ونسخ ميراث الأدعياء
وحدثنا شريح قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال ثم نسخ ذلك بالميراث
وأنزل عز وجل إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فتحرج قوم من مخالطة اليتامى وشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا نخلط طعامهم بطعامنا فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير

وإن تخالطوهم فإخوانكم فقالت العلماء إن الله عز وجل نسخ التشديد عليهم بالرخصة في المخالطة على غير تعمد لظلم كما يصنع المسلمون في أسفارهم وقد يصيب بعضهم من الغذاء أكثر من بعض ورخص الله لهم في ذلك على المخالطة من غير تعمد لظلم شيء من ماله بعينه
الباب الرابع عشر اختلفوا فيه أمنسوخ هو أم استثناء خصوص من عموم كقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فأجمعوا أنه أسقط الفسق بالتوبة فقال بعضهم نسخه وقال بعضهم لم يرده وإنما أراد من لم يتب
فقال بعضهم لم يرد للتائب في ترك قبول الشهادة ثم اختلفوا في الشهادة
وقال بعضهم نسخ الشهادة والفسق بالتوبة
فقال مالك رحمه الله ومتبعوه إذا تاب قبلت شهادته
وقال أهل العراق لا تقبل شهادته أبدا تاب أم لم يتب

وكذلك قوله تعالى إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فقال قوم نزلت في المنافقين وعفور المؤمنين وقال ابن عباس نسختها وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إلى قوله تعالى فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله

وكذلك قوله ليس على الأعمى حرج إلى قوله تعالى أو صديقكم

وروي عن ابن عباس أنه قال لما نزلت لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لنا أن نأكل عند أحد فأنزل الله جل ثناؤه ليس على الأعمى حرج الآية وقال مجاهد نحو ذلك وقال عبد الله بن عبيد الله تحرجوا بعد الإذن وقالوا لم تحد لنا

وقال عكرمة نحو ذلك حدث يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله بن عتبة وابن المسيب أنه كان رجال من أهل العلم يحدثون أنما نزلت هذه الآية بقول الله عز وجل ليس على الأعمى حرج الآية كلها أن المسلمين كانوا يرغبون 126 في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعطون مفاتيحهم ضمناءهم ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فيقول الذين استودعوهم والله ما يحل لنا ما في بيوتهم وإنما هي أمانة أو ثمن حتى أنزل الله هذه الآية فطابت أنفسهم بما أحل الله ونسخت قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وروي عن ابن عباس

وذهب قوم أن الله جل ذكره أحل لهم طعام من

ذكر في الآية بغير إذنهم وقالوا لو كان من بعد إذنه لهؤلاء ما كان معنى خصوص إذ كان يحل الطعام لكل الخلق عن إذنه قاله قتادة والحسن

حدثنا يونس بن بشر عن شيبان عن قتادة في قوله أو صديقكم قال أحل لغير مواريثهم أن يأكلوا من طعامهم

ورأى الحسن من كان لا يرث بغير إذنه فقيل له فقال يا لكع إقرأ أو صديقكم والصديق من استراح إليه القلب

وقال قوم لم يرد الله أن يحل لهم أن يأكلوا بإذن ولا بغيره ولكن الأعرج والأعمى والمريض لا يمكنهم أن يسألوا من الطعام مسألة الصحيح فتحرج المسلمون لما نزلت هذه الآية لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

كما توعد في أكل مال اليتيم فقال إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وإن تخالطوهم فإخوانكم الآية وقال لغة العرب في ذلك جائزة يريد المفعول به فيسمي الفاعل وأراد جل ذكره الإذن في مخالطتهم في المواكلة فسمى الأعرج والأعمى والمريض وهو يريد من يخالطهم فرخص لهم كما رخص للناس في أسفارهم إذا سافروا وبعضهم يصيب من الطعام أكثر من بعض

وكذلك قوله عز وجل من قائل فاتقوا الله ما استطعتم نسخت قوله اتقوا الله حق تقاته اتقوا الله حق تقاته

حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فاتقوا الله ما استطعتم نسخت قوله اتقوا الله حق تقاته

وقال ابن عباس لم تنسخها ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ثم أمروا أن يقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم

وقال ابن مسعود حق تقاته أن يذكر فلا ينسى وأن يطاع فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر

وكذلك قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية

وروي عن ابن عباس أن الله تبارك وتعالى أنزل بعد ذلك إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم المغفرة على من تاب عند الموت وهو كافر وأرجأ التوبة لأهل التوحيد إلى مشيئته فلم يؤسهم من المغفرة

وقال بعضهم حرم التوبة على الكافر والموحد المصر عند الموت أن يقبلها منهم ثم نسخ

من ذلك توبة الموحد فأطلقها له بقوله إن الله لا يغفر أ ن يشرك به
وقال آخرون لم تنسخ ولم يرد الله عز وجل بها إلا وقت الغرغرة وهو وقت معاينة الرسل فلا توبة مقبولة بإيجاب المغفرة لأنه قد عاين وآمن الكافر

وتاب الموحد المصر ضرورة بما عاين من أعلام الآخرة فارتفعت المحنة وزال البلوى والاختبار والتوبة مبسوطة لضمان المغفرة لكل مذنب كافر أو مؤمن ما لم يغرغر
وقد روي عن النبي عليه السلام قال التوبة مقبولة ما لم يغرغر فإذا غرغر لم تقبل مغفرة
وروي إن تاب قبل موته بفواق ناقة يعني ما بين الحلبتين
وروي عن إبراهيم ما لم يؤخذ بكظمه فالتوبة مقبولة ما لم يغرغر فإذا غرغر لم يغفر للكافر ذنوبه إذا تاب في ذلك الوقت ولم تقبل التوبة من الموحد لضمان المغفرة وكان كمن مات من الموحدين ولم يتب فأرجاه الله للمغفرة إن شاء الله رحمه بفضله أو يعذبه بما استحق ووجب له بعدله
وكذلك قوله وإني لغفار لمن تاب فقال بعضهم نسخ ذلك في آخر الزمان إذا طلعت الشمس من مغربها فقال لا ينفع 127 نفسا إيمانها الآية

وقال بعضهم إنما أراد الكافرين لا المؤمنين
الباب الخامس عشر ومما اختلفوا أنه منسوخ ولا يجوز عند أهل النظر أن يكون الكتاب والسنة منسوخا من ذلك قوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
شريح عن الكلبي أنه قال نسختها إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وهذا لا يحل لأحد أن يظنه دون أن يقطع به أن الله جل ذكره إنما عنى في الآية الأولى عذاب الملائكة وعيسى وغيره من وليائه فأخبر عباده أن يعذبهم ثم نسخ من ذلك خصلتين
إحداهما أن الله جل ذكره لم يرد عذاب أوليائه قط بذلك لأنه ما زال يريد أن لا يعذبهم

والثانية أنه كان تقدم من الله عز وجل في المسيح والملائكة وفي عزير أخبار أنهم من أهل الجنة قبل نزول هذه الآية ولا جائز أن يكذب الله عز وجل خبره

الأول وإنما حاج النبي صلى الله عليه وسلم ابن الزبعري لما علم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه قبل ذلك في الملائكة والمسيح وعزير أنهم أولياؤه فأراد أن يكذب النبي عليه السلام ولم يتقدم من الله جل ذكره في المسيح والملائكة أخبار في أوليائه ما كان الله ليخبر بعذابهم ثم نسخه بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
فمن زعم أن الله جل ذكره نسخ خبره فقد وصف الله سبحانه بالكذب
وقوله في الملائكة قول الله جل وعز ويستغفرون لمن في الأرض ثم نسخها فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فزعم أن الملائكة استغفرت أولا للمشركين وهذا كذب لأن الله جل وعز يقول ولا يشفعون إلا

لمن ارتضى ولم يكن الملائكة يشفعون لمن في الأرض ممن قد علموا أن الله لا يغفر له أبدا
وقوله عز وجل لا أسألكم عليه أجرا الآية و وقل ما سألتكم من أجر نسختها قل لا أسألكم عليه أجرا الآية قد أجد الله عز وجل استثنى لهم المودة وأعوذ بالله أن يكون الله جل ذكره أراد أن المودة في القربى أجر له على دعائه إليه ولكن قوله قل لا أسألكم عليه أجرا منقطع ثم استأنف هذا تسميه العرب استثناء الخلف وإنما هو استئناف
ومن ذهب إلى مودة القرابة فأراد أن يذكرهم حق الرحم فلا يؤذى
ومن ذهب إلى المودة في الدين فأراد أن يودوا الله بطاعته

القسم السابع

في أساليب القرآن باب التقديم والتأخير

ومما كلم الله جل ذكره به عباده مقدم ومؤخر لأن العرب قد كانت تفعل ذلك في تراجعها بينها ومخاطبتها قبل أن ينزل الكتاب على نبيه عليه السلام

فمن ذلك قوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر فبدأ بالعذاب قبل النذر وكان قبل العذاب لأن الله جل اسمه يقول وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى

وقال في عقاب الأمم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين فأخبر أنهم أنذروا فلما كذبوا كان آخر أمرهم العذاب وقال تعالى فساء صباح المنذرين غير أن العذاب صبحهم بما نقمهم إذ أنذروا فلم يؤمنوا وإن كانت قد قدم في التنزيل العذاب قبل النذر فإنه بدأ فأخبر أنه أنذرهم قبل أن يعذبهم ثم قال في عقب

ذلك فكيف كان عذابي ونذر فقال كذبت قوم لوط بالنذر كذبت ثمود كذبت قوم لوط المرسلين وقال ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر وقال فكيف كان عذابي ونذر وقال عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

ومن ذلك قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين فبدأ في التنزيل بالوصية قبل الدين وقضى النبي عليه السلام بالدين قبل الوصية

والأمة مجمعة ألا وصية إلا فيما فضل من بعد قضاء الدين وكذلك روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال إنكم تقرءون من بعد وصية يوصي به أو دين 128 وإن النبي عليه السلام قضى بالدين قبل الوصية ولولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكان على العباد أن يبدءوا بما بدأ الله به الوصية قبل الدين كما قال اركعوا واسجدوا

وقال عز وجل إن الصفا والمروة من شعائر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم نبدأ بما بدأ الله به ثم قام على الصفا

وكذلك قوله عز وجل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فقرئ في ظاهر

التنزيل أن الله حسبه والمؤمنين وإنما حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله
وكذلك والله ورسوله أحق أن يرضوه معنى يرضوا رسوله
وكذلك إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها ولم يبن ما أراد بقوله مالها ولا أبان ما أصيب به وإنما هو في ظاهر التلاوة وقال الإنسان يومئذ مالها تحدث

أخبارها قيل له إن ربك أوحى لها وهو كقول القائل قال فلان مالك يومئذ وإنما يريد قال فلان يومئذ مالك وهو تقديم وتأخير وفي بعضه إضمار وهو قيل بأن ربك أوحى لها
وقوله عز وجل سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
ومن ذلك قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان وإنما معناه وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا إلى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك
وكذلك قوله وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم يكن بينكم

وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فهذا مقدم ومؤخر وإنما معناه ولئن أصابتكم مصيبة ليقولن قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا كأن لم تكن بينكم وبينه مودة حين قال هذا القول ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما
وكذلك قوله إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم قال هو أعلم بالله عز وجل من أن يبدأ باسم سليمان قبل اسم الله عز وجل وإنما معناه الكتاب جاءني من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فأخبرت ممن الكتاب وأن أول صدر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم بدأ باسم الله عز وجل قبل اسمه وقد كان النبي عليه السلام أولا يكتب باسمك اللهم فلما نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب النبي عليه السلام

بعد ذلك فبدأ باسم الله عز وجل فدل بذلك أنه اتبع ما أخبر الله عن سليمان فهذا دليل قوله

إنه من سليمان وإنه مقدم ومؤخر لأن الله عز وجل يقول لنبيه عليه السلام فبهداهم اقتده ولم تزل كتب الأئمة العدول وعلماء الأمة إلى عصرنا هذا يبدأ باسم الله أول كتبهم

وكذلك قوله عز وجل لهم غرف من فوقها غرف مبنية مقدم ومؤخر وإنما معناه لهم غرف مبنية من فوقها غرف وكذلك فسرها أهل التفسير

وكذلك قوله عز وجل ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما مقدما ومؤخرا إنما هو ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يجعله ركاما ثم يؤلف بينه لأن الأركام لا تؤلف بالاستواء إنما يجعل بعضه فوق بعض ثم يبسطه مؤلفا

وكذلك قوله عز وجل قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت الآية

وكذلك ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا إنما معناه وخروا له سجدا ورفع أبويه على العرش إنما العرش سرير يوسف عليه السلام فلم يرفعهم على السرير ثم سجدوا له إنما سجدوا له تحية وإكراما لا عبادة له ثم رفعهما على سريره بعدما سجدوا له وأجلسهم معه على فراشه كذلك فسرها المفسرون

وكذلك قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن 129 العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم الآية إنما معناه ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعلمون لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم وأخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين

وكذلك قوله سبحانه وبرزوا لله الواحد القهار

وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد إنما معناه وبرزوا لله الواحد القهار ليجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران الآية

وكذلك قوله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنما معناه سيؤتينا الله من فضله ويؤتينا رسوله من فضله فالفضل لله وحده

وكقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم إنما معناه أن يغسلوا وجوههم قبل أن يقوموا إلى الصلاة ثم يقوموا إليها فقال بعضهم يعني إذا قمتم من النوم

وقال عز وجل فاهدوهم إلى صراط الجحيم إنما معناه وقفوهم إنهم مسئولون ثم اهدوهم إلى صراط الجحيم

وكذلك فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم مقدم ومؤخر إنما هو فاستعذ بالله واقرإ

القرآن فكان معناه فإذا استعذت بالله فاقرأ القرآن المعنى من الله جل ثناؤه إذا أردت أن تقرأ فاستعذ قبل أن تقرأ فقدم القراءة قبل الاستعاذة

وقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي مقدم ومؤخر وإنما هو في المعنى ولو تملكون أنتم خزائن رحمة ربي

وقوله نأت بخير منها أو مثلها مقدم نأت منها بخير

وقوله فاذهب أنت وربك فقاتلا معناه اذهب أنت فقاتل ويعينك ربك ولم يعنوا أن يذهب الله فيقاتل ولو كان ذلك معناه كفروا

وقوله من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض معناه بغير فساد

وقوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون معناه

وفريقا يقتلون فريقا كلا الكلمتين مقدمة مؤخرة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معناه يعدلون بربهم

وأجل مسمى عنده مؤخرة وعنده أجل مسمى

وقوله تعالى وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وإنما معناه وعظهم في أنفسهم وقل لهم قولا بليغا

وقوله خلق الإنسان من عجل معناه خلق العجل من الإنسان وهي العجلة لأن آدم عليه السلام أراد أن يقوم قبل أن تصير الروح إلى رجليه فقال جل ثناؤه خلق الإنسان من عجل لأن العجل فعل الإنسان بعدما خلق وكذلك قوله وكان الإنسان عجولا

وكذلك قوله تعالى ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة إنما هو أن العصبة لتنوء بمفاتحه

وقوله فما أصبرهم على النار معناه فما الذي صبرهم على النار

وقوله يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق معناه ونقول ذوقوا عذاب الحريق

وكذلك قوله ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا معناه يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا

وقال واسأل من أرسلنا إنما هو واسأل من أرسلنا إليهم من قبلك

وقوله إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا مضمر معناه إلا أنه من شاء أن يتخذ

وقوله فإنهم عدو لي إلا رب العالمين لا عدو لي 130

وقوله ما كان ينبغي لنا مقدم مؤخر ما كان لنا ينبغي

وقوله وغرابيب سود مقدم ومؤخر سود غرابيب لأنه يقال أسود غربيب باب الإضمار

وقال أبو عبد الله ومن كلام الله عز وجل واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم وإنما هو حب العجل

وكذلك قوله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم إنما هو فيقول لهم أكفرتم بعد إيمانكم

وقوله واسأل القرية أهل القرية واسأل العير أصحاب العير وكم من قرية

ومن كلام الله عز وجل الشيء مسمى باسم يشبهه لا باسمه والعرب تفعل ذلك كقوله تعالى كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء فأراد المنعوق وهي الغنم فسمى الناعق وهو الصائح بالغنم

الحروف الزوائد

ومن الحروف زوائد فمن ذلك غير المغضوب عليهم ولا الضالين إنما معناه غير المغضوب عليهم والضالين وكذلك قوله خلقكم والذين من قبلكم من زائدة إنما هو والذين قبلكم

وكذلك قوله ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك معناه ما منعك أن تسجد لا من الزوائد تأكيد لا نفي

وكذلك ما نهاكما ربكما معناه إلا كراهية أن تقول العرب ما عندك نفع ولا دفع

وقوله تعالى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها إنما معناه أن يضرب مثلا بعوضة فزاد قوله ما توكيدا

وكذلك قوله فبما نقضهم ما زائدة معناه فبنقضهم ميثاقهم

وكذلك قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إنما هو يحفظونه بأمر الله

وكذلك قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم إنما هو يغضوا أبصارهم

وكذلك قوله ما وجدنا لأكثرهم من عهد معناه ما وجدنا لأكثرهم عهدا وإذا قلنا للملائكة معناه وقلنا للملائكة

وكذلك قوله وإذ قال موسى لقومه معناه وقال موسى لقومه

وقوله أن ينزل عليكم من خير من ربكم معناه خير ربكم
وقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين وقوله إذ قال الله يا عيسى بن مريم وإذ علمتك وإذ أوحيت
وقوله وقوله أأنت قلت للناس تقرير لا استفهام على جهل ليعلمه كقول الرجل لعبده
أفعلت كذا وكذا يريد تحذيره وقال جرير ... ألستم خير من ركب المطايا ... وأندي العالمين بطون راح...
ولو كان استفهاما ما أعطاه عبد الملك على ذلك ماية ناقة برعاتها

إلهين اثنين إذا أشرك فعل الذكر مع فعل الأنثى غلب فعل الذكر وقال جل ذكره وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم مجرور بالباء وهي مشتركة بالكلام الأول من المغسول والعرب تفعل ذلك هذا بالجوار للمعنى على الأول فكان موضعه واغسلوا أرجلكم
وكقوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين على موضع المنصوب الذي قبله والظالمين لا يدخلهم في رحمته
قوله وإن كنتم جنبا فاطهروا واللفظ الواحد والجميع عنه هو جنب وهم جنب وأمر بالقسط والمعدلة
وقوله ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك لا حرف زائد إنما معناه ما منعك أن تسجد
وكم من قرية أهلكناها وما أهلكنا من

قرية إلا ولها كتاب معلوم وإن من قرية إلا نحن مهلكوها يعني وإن من قرية نحن مهلكوها

المفصل والموصول

وأما المفصل والموصول فإن الله عز وجل يقول ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
ففصل الكلمة من الكلمة إذا انفردت كل واحدة منهما بمعنى هو المعنى الذي في الأخرى وكان لا يتم المعنى إلا بتواصلهما جميعا
فهو موصل ومفصل من هذه الجهة
وهو كله مفصل من معنى آخر إن الله جل ذكره بينه كله وهو قوله تعالى وفصلناه تفصيلا

وقال عز من قائل أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
وقال وقد فصل لكم ما حرم عليكم وكل شيء فصلناه تفصيلا وقال عز وجل وكذلك

نفصل الآيات لعلهم يتذكرون وكذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين
فأنزل الله جل ثناؤه كتابه بلسان العرب ليفهموا معاني ما أراد فيما أمر به ونهى عنه ووصف به نفسه ووعده ووعيده وجميع ما نزله فقال عز من قائل بلسان عربي مبين وكلام العرب له فصول ووصول ليبين به المعاني ويفصح به عن المراد فيصل الكلمة بالكلمة إذا كانت الكلمة الأولى لا تبين عن المعنى وحدها 131 حتى تصل بها الكلمة الأخرى
لو قال قائل من لم يدر سامعه ما يريد حتى يصلها من أين جئت ولو قال قلت لم يدر ما قال حتى يقول كذا وكذا ولو قال أحمد لم يدر من

يريد حتى يقول النبي عليه السلام وإني فلان ولو قال سمعت ما درى سامعه ما سمع حتى يقول كذا وكذا
ومنه مفصل يتم المعنى بالكلمة والكلمتين والثلاث فصاعدا فيتم المعنى ثم يريد المتكلم أن يستأنف كلاما آخر يبين عن معنى ثان فيقطع الكلام الأول عند تمام المعنى ثم يستأنف كلاما آخر ثانيا يتبين عن معنى ثان لا على الأول
لو قال قائل أحمد كريم ثم أراد أن يذم إسحاق ولا يدخله في المدح بالكرم فقال أحمد كريم وإسحاق لم يدعه حتى يصله
ولو قال لي على فلان ألف درهم ثم أراد أن يخبر أن فلاما قد أوفاه فقال لي على فلان ألف درهم وفلان فلو سكت على قوله وفلان كان ادعاء عليهما جميعا ألف درهم فإن قال وفلان قد أوفاني كان فصل ما بينهما
وان ادعى على الأول وفصل الآخر منه بالبراءة

له مما كان له وإنما يفصل الثاني من الأول بأن فصل الكلام بكلام ثان تبين به معنى الثاني من الأول كقوله ذهبت أنا وفلان فلو سكت عليه كان قد أخبر أنهما ذهبا جميعا فإن فصله بكلام مستقبل أبان أنه قد فصل الأول

ذهبت أنا وفلان لم يذهب معي فلم يقف على فلان فيكون قد أخبر أنه قد ذهب معه ولكي يبين أنه عطف اسمه ليبين ما قطعه عن الذهاب بكلام يدخله بقوله وفلان يخبر أنه لم يذهب معه وأنه هو ذهب وحده

وكذلك قول الله جل ذكره يبين المعنى بالواو فقال إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ففصل بينهم

ولو قال قائل إن الذين آمنوا وهادوا كان قد فصل بينهما

وكذلك قوله السماء والأرض والذكر والأنثى

ولا يجوز السماء الأرض الذكر الأنثى فيكون معناهما واحدا

وكذلك فصل الله فقال هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم

وكذلك بسم الله الرحمن الرحيم ولا جائز بسم الله الرحمن الرحيم فيوهم أنهما اثنان

وكذلك قوله محمد رسول الله ولا جائز محمد ورسول الله فيكونا اثنين

ولا يجوز الفصل فيما لا يتم إلا بالوصل ولا يجوز الوصل فيما لا يتم معناه إلا بالفصل فيمن لم يجهر بذلك

فمن الفصل والوصل ما لو وصل المفصول كان في ظاهر تلاوته كفرا وكذلك إن فصل الموصول كان في ظاهر تلاوته من كتاب الله عز وجل كفرا فهو الموصول الذي لا يجوز قطعه ومن قطعه كان كافرا كقوله لا إله ويقف نفيا لله تبارك وتعالى ولو لم يقف

واستأنف كلاما ليس بموصل كان كافرا أيضا لو قال لا إله واستغفر لذنبك كان قد جحد الله جل وعز
وكذلك قوله يأمر فاعلم أنه لا إله ولم يصلها إلا الله فهي كلمة أولها نفي لكل إله فإذا وصلها بقوله إلا الله كان توحيدا لله وحده بنفي كل معبود دونه
وكذلك قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله كان علم الغيب منتفيا عن سوى الله موصوفا به وحده
وكذلك قوله عز من قائل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها وكذلك قوله إن الله لا يستحيي حتى يصلها بقوله أن يضرب مثلا ما بعوضة
وكذلك قوله والله لا يستحيي حتى يصلها من الحق
وكذلك قوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول

له لم يجز أيضا قطعه إذا لم يبين ما يقول للشيء فقال كن ثم وصلها فقال فيكون ثم استأنف فقال والذين هاجروا
وأما ما قطع الله تبارك وتعالى المعنى بالقول فلم يصله بمعنى ثان فيكون معناهما واحدا مما قطع الأول 132 وإن وصله بغيره بتمام معنى الأول واستأنف قوله ثانيا وصله بمعنى ثان مستقبل ليفرق به بين المعنيين فيه ما يكون كفرا لأن يذم به حتى يقطعه ولا يصله كقوله تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء فهذا كلام تام معناه لو وصله فقال و الله ثم قطع كان كافرا حتى يصله بقوله ولله المثل الأعلى ولكن يتلوه مستأنفا فيفردهم عن الله جل ذكره بالمثل السوء ويفرد الله جل وعز عنهم بالمثل الأعلى
وقوله إنما يستجيب الذين يسمعون فقطع

المستمعين من الموتى ثم قال يبعثهم الله فوصل المعنى بذكر البعث لهم
وقوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ثم استأنف ومثلهم في الإنجيل كزرع الآية

وقوله تعالى فأولى لهم ثم استأنف طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم

وكذلك قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم فلو وقف على قولهم لهم فوصله ولم يقطعه منه بمستأنف بقوله ما يشتهون لكان قد أخبر أنهم قد جعلوا لله البنات ولهم جميعا ما يشتهون فأخبر أنهم وصفوا الله جل ذكره بأن له البنات ولم يصفوه بما يشتهون من الذكران وجل عنهما جميعا وإنما ذم الله المشركين حيث يجعلون له ما يكرهون لأنفسهم

من البنات ويجعلون لأنفسهم الذكران فيجعلون أنفسهم فوق الله جل وعز لتوكيد الحجة عليهم بعد إقرارهم أن الله خالقهم ثم يجعلون له ما يكرهون لأنفسهم وكذلك قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ثم الكلام لتمام المعنى لثواب الذين آمنوا ثم استأنف فقال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم فلو وصلها واصل ولم يقطعها باستثناء فقال والذين كفروا لكان قد وصفهم بدخول الجنات مع الذين آمنوا

وكذلك يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك فتم الكلام بتمام المعنى بإيجاز الله لنوح ومن معه البركات والسلام ثم استأنف الأمم من بعده بالمتاع والعذاب ولم يصل الكلام فيشترك الأمم بعده في السلام والبركات وكذلك إن

مثل عيسى عند الله كمثل آدم إلى قوله ثم قال له كن فيكون ثم قطع واستأنف فقال الحق من ربك مستأنفا فوقع الحق مستأنفا وكذلك فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة والمبتدأ في أكثر الأخبار مرفوع ولكن هذا الموضع نصب الثاني المقطوع من الأول فجعلهما جميعا في معنى المفعول بهما يخالف بين معناهما ثم اتبع آخر الفريقين بما حق عليهم من الضلالة بخلاف الفرقة الأولى التي هداها فقال فريقا هدى ثم استأنف فقال وفريقا حق عليهم الضلالة

وقوله من بعثنا من مرقدنا فقطع ثم استأنف هذا ما وعد الرحمن قالت الملائكة هذا ما وعد

الرحمن
وقوله إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فقطع ثم قال وكذلك يفعلون

وقوله قل لا تقسموا لا تحلفوا ثم ابتدأ فقال طاعة معروفة معناه أو طاعة معروفة
وقوله فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا معناه وساء ذلك الوزر يوم القيامة حملا
والمفصل الذي ابتدأه باستئناف ما بعده بتمام الكلام ولو لم يصله بكلام ثان فليس مفصولا بالأول فالمفصل لا يخلو من أن يوصل بكلام مستأنف إلا أنه لا يوصل بالأول وإنما يوصل بالثالث وكذلك قوله ما المسيح بن مريم إلا رسول خلت من قبله الرسل
هو آخر الكتاب